

190459 |

OUP--891--5-8-74--15,000.

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No.

١٤
٢٩٢٤٣
و ك

Accession No.

A612

Author

ابن كثير بن عبد الرحمن

Title

تفسير سورة الصف

This book should be returned on or before the date last marked below.

كتاب

مسارة الضيف
بفاخرة الشتاء والضيف

للمراحي لطف الحبير ابي بكر بن محمد عارف
خوقير المكي الكتبي عفى الله عنه

وبليها

سلوة الحريف بمناظرة الربيع والحريف
لفريد الزمان الشيخ الأجل قوام الادب
ابي عثمان عمرو بن بجر الجاحظ
رحمه الله

طبع في بيروت سنة ١٣٢٠

وتفسيح في الرياض البديعة . ولكن ستذكرون ما اقول لكم . وتعلمون
 رفتي بكم . وعدم تكليفي لكم . اذا جاءكم البرد . ولظاكم بناره . وسحقكم
 ببرده بالبرد . وجاءكم بمجنوده وصعق عليكم بالصواعق والرعد . وكفكم
 ما لا طاقة لكم به من كثرة الطعام . والقرش والملابس العظام .
 واذكروا قول شاعركم الهام

توق من الشتاء ولا تخاطر * بنفسك فائلا اتي جليدا
 فرضنا ان جسمك من حديد * فهل يقوى على البرد الحديد
 واذكروا اذا قام احدكم الى شربة ماء . فلا يكاد يسيغه ولا يجرحه
 من الاناء . كما تمثل فائلكم

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب بهجر الافراط في الخصر
 ألم نقل ايها الفخر . يا ابا بكر

جاء الشتاء ببرده * سحق الوجوه ببرده

حبس الانام بكنه * اثقلهم من برده

لظايم من ناره * ادماهم بفرونده

ابدى الزكام بانفهم * اعشى العيون برمده

جلب الغموم بغيه * رعب القلوب برعه

فما اتم كلامه . وقضى مرامه . الا وقد حضر طيف خيال ثاني .
 فقال اعوذ برب المثاني . من كل ظالم وشافي . ومن حسود لا يقدر
 شاني . وجاهل لا يعرف مكاتي . ولا مكاني . ثم انشد قائلاً
 واذا ما خلا الجبان بأرض * حاول الطعن وحده والتزالا

ثم تنفس وتمثل في الحال وحاله قد حال

وقال السها للشمس انت خفية * وقال الدجى يا صبح انك حائل
 وطاولت الارض السماء سفاهة * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل

فياموت زر ان الحياة مريرة * وبانفس جدتي ان دهرك هازل
 ثم قال اني انا الشتاء والقر والبرد . تخاسني لا تحصي ولا تعد .
 اذا جاءت ايامي . انتصبت اعلامي . واضرمت ناري . ورايت الضيوف
 حولما في ليلى ونهاري . في البيوت والصحارى . ورايت الناس يهنون
 بعضهم . في خروج عدوم . ووصولي اليهم . فهذا يتمثل . وهذا ينشد
 ويترسل . جاء الشتاء وادبر الحر . هنيء الطعام وساعت الخمر . فرحت
 القلوب بوصولي . وامتلات بشرا . وشرع الكرام بخرجون مدخرا .
 ويعطفون على الفقرا . حتى قال قائلهم شعرا . ويجمع كافاتي مفتخرا .
 وناهيك بذلك فخرا

جاء الشتاء وعندي من حوائجه * سبع اذا القطر عن اوطارنا جسا
 كن² وكيس وكانون وكاس طلا * مع الكباب (وكف) ناعم وكسا
 وقال بعض الدهاقين آكل فيه ما جمعت . واستمتع بما ادخرت
 واي شيء احسن من كانوني في كانون . ومن لبس الخبز والسمور .
 والقعود في الطوارم مع الاحباب . وتناول الدراج والكياب . وقال
 بعض الكتاب

ليت الشتاء يعود لي بنعيمه * ان الشتاء غنيمه الكتاب
 قصر النهار وطول ليل تمتع * فيه نلذ بقينه وشراب
 وكان للمتوكل بيت مال بسميه بيت مال الشمال . فنكاهت الريح
 شمالا . تصدق بالثمن درهم . وقد اشتهر اني على قدر الجسم والمال مقسم
 فالتقدير يرفقه الله . ويسخر له اهل الكرم . وربما اعتاد جسمه العربي فلا
 يهتم . فقد سئل عريان عما يجده في يوم قسر . فقال ما علي منه كبير
 مؤنة . قيل له كيف . قال دام لي العربي فاعتاد بدني . ما تعتاده
 وجوهكم . وقيل لآخر ما اصبرك على البرد . قال كيف لا يصبر

عليه . من طعامه الريح . وسراجة الشمس . وسقفة الساء . ورأسه
 الاصمعي رجلاً يخنال في اذير في يوم قر فقال من انت يا مقورر . فقال
 ابن الوحيد . امشي الخيزلى . اي مثاقلا . ويدفئني حسي
 فلما سمع كلامه الصيف . تلهب من الحر . وقام وقعد ثم حمل
 وكر . و اشار يقول . ويجول ويصول

في زخرف القول تزيين لباطله * والحق قد يعتريه سوء تعبير
 ثقول هذا مجاج التحل تمدحه * وان ذمعت نفل في الزنابير
 مدح ودم وذات الشيء واحدة * ان البيان يرسي الظلماء كالنور
 يا للعجب كم قتل هذا الرجل وسلب . كم فتك في عباد الله الاصفياء
 واقفر الاغنياء . وبضدها تميز الاشياء . هذا عدو الناس . ونذير الهلاك
 والباس . كم فيه مغرم . وكثرة اتفاق الدرهم . في الطعام الذي يصير
 فيه الشره . والمالبس التي تدفع شره . وتعي القوي حملاً . فكأنما يجمل
 ثقلاً . قبرى الهزبل . كالسمن الثقيل . وقد قال الجاحظ الشتاء عند
 الناس . هو الكلب الكلب . والعدو الحاضر . يتأهب له . كما يتأهب
 للبحش ويستعد له . كما يستعد للحرق والفرق . ولو استقصيت معائبك
 ضاق الورق . وسل الجرائد عمن يهلك بك في كل عام . في اوربا مع
 التمدن والفنا والانتظام اما بلغك ان امرأة هناك قتلت نفسها جزعاً
 من دخولك . وخوفاً من ان يكون موتها بوصولك . اما رأيتهم يتعلقون
 في حبال . على مستوقد النار . في الليل والنهار . لا يدوقون المنام .
 حتى يأتيهم الحمام . والاغنياء يهرنون . وعن بلادهم يمدون . ولا
 تدلس بقولك . يخرج الكرام مدخرا الخ . نعم يخرجون امداداً . ورحم الله
 من قال انتقاداً

ذهب الدين يعاش في أكافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وهذا القائل هو الشاعر ليبيد . آلى على نفسه كما هبت الصبا ان
 يفر ويطم . وربما ذبح العناق . اذا ضاق الخناق . والزم ذلك نفسه في
 الاسلام . فلما كانت ايام عثمان . رضي الله عنه جعل ديوان ليبيد
 بالكوفة . يا هذا علمت الناس انكرم فأفقرتهم . وعرضتهم للذلة والمسئلة
 واهنتهم . كما قال الشاعر

الجود اقلسهم وغير حالم * واليوم ان سألوا النوال تمحلوا

وقال الاخر

جاء الشتاء وما عندي له ورق * فيما عدت وما عندي له خلع
 كانت فبدها جودٌ ولعت به * وللساكين ايضاً بالندى ولع
 فبئس هذا الكرم . الذي اعقب الحسرة والندم . وجعل صاحبه
 في حيز العدم . كما قال ابن المعتز . الخليفة الاعظم

يارب جود جرّ فقر امرء * فقام في الناس مقام الدليل
 فاشدد عرى مالك واستبقه * فالجمل خير من سؤال البجيل

وقال الاخر

اشفق على الدرهم والعين * تسلم من الغيبة والدين
 فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

وقال الاخر

في كل شيء سرف * بكره حتى في الكرم
 ولربما الغاف لا * افضل من النى نعم

وقال الاخر

لحفظ المال خير من عطاء * وسعي في البلاد بغير زاد
 واصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبق الكثير مع الفساد
 وقال محمد بن الجهم : اتركوا الجود للملوك . فانه لا يليق الا بهم

ولا يصلح الالم . ومن عارضهم في ذلك افتقر واقتض . فلا يلومن
 الانفسه . وكان الكندي يقول قول لا يدفع البلا . وقول نعم يزيل
 النعم . ثم اني اراك تلج بذكر الكرم والكرام . كأنك خسيس طبع .
 تنظر لما في ايدي الانام . واني بحمد الله قد افدتهم كنز القناعة .
 والزمتهم العفة خير بضاعة . ولم اكشف عن احد قناعه . ولسان حاله
 يقول على رؤس الجماعه

اذا اعطشتك اكف اللثام * كفتك القناعة شعباً وريباً
 فان اراقه ماء الحيا * ة دون اراقه ماء الهيا
 فكف رجلاً رجله في الثرى * وهامة همته في الثريا
 وكذا يقول

امطري لؤلؤ جبال سرند * ب وفيضي آبار تكرور تبرا
 انا ان عشت لست اعدم قوتاً * ولئن مت لست اعدم قبراً
 همتي همة الملوك ونفسي * نفس حرّ ترى المذلة صغرا
 وكذا يقول

وما شيء باثقل وهو حق * على الاعناق من منن الرجال
 فلا تفرح بشيء تشتريه * بوجهك انه بالوجه غالي
 وكذا يقول

افنع من الدنيا بميسورها * واشرب قراح نماء بانكف
 وكف نفساً طال اهماسها * فانما الراحة بالكف
 وفصل الخطاب في هذا واولى . قول صاحب اليد الطولى . صلى الله عليه
 وسلم : اليد العليا خير من اليد السفلى . تقفّر يا هذا بشعر من افتخر بجمع
 الكافات وقد افتخر في زماني بعض الادباء بجمع الراء حيث قال آتياً
 بالسحر الحلال

عندي فديتك رآت ثمانية * التي بها الحران وافي وان وردا
 راح وروح وريحان وريق رشا * ورفرف ورياض ناعم وردا
 وازيدك قول بعض السادات . منوتاً بالنونات

للصيف سبع من النونات رائقة * يا حسنها من ذوات اوقيت دنسا
 نور ونور ونوم فوق نغمة * ناعورة ونسيم طيب ونسا
 والله درمن قال

يقولون كافات الشتاء كثيرة * وما هي الا واحد غير مفترى
 اذا كان كاف الكيس فالكل حاصل * لديك وكل الصيد في باطن الفرا
 وما احسن قول الاخر

وكافات الشتاء تعد سبعا * وما لي طاقة بلقاء سبع
 اذا ظفرت بكاف الكيس كفي * ظفرت بمفرد يأتي بجمع

واين انت يا من يتفاخر من قول الاخر

جاء الشتاء وما الكافات حاضرة * وانما حضرت منهن ابدال
 قل وقر وقلب موجع وقللا * وقادر هاجر والقييل والقال

وقول الاخر

جاء الشتاء يبرد لامرء له * ولم يطق حجر فاس يقاسيه
 لالكاف عندي ولا الكانون متقد * كفي ظلامي وكيسي قل مافيه
 دع الكباب واخل الكنف واسفا * على كسا اتقطى في دياجيه

وقول الاخر

هم البرد والشتاء وما أم * لك الا رواية العريه
 وقيصاً لو هبت الريح لم تب * ق على عاتق منه بقيه

وقول الاخر

جاء الشتاء وليس عندي درهم * وبمثل هذا قد يصاب المسلم

لبس العالج خزوزها وفرائها * وكانني بفناء مكة محرم
وقول الاخر

ليس عندي من آلة البرد الا * حسن صبري ورعدتي وقنوعي
فكأنني لشدة البرد هرث * يرقب الشمس عند وقت الطلوع
قيل لاعرابي ما اعددت للبرد . قال طول الرعدة . وتقرص القعدة
وذرب المعده . ونظمه بعضهم في قوله

قيل ما اعددت لا * برد وقد جاء بشده
قلت دراعة عري * تحتها جبة رعدة

وقال الاخر

قال هل اعددت شيئاً * للشتا قد جا بعنف
قلت ثوباً من مدام * كلما مدت تدبني

قال الاصمعي : رأيت اعرابيا قد حفر قرموصا اي حفرة قعد
فيه في اول الشتاء . فقلت ماصيرك الى هذا . قال شدة البرد . وانشأ يقول
ايا رب هذا البرد اصبح كالحك * وانت بصير عالم ما تعلم
لئن كنت يوماً في جهنم مدخلي * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم
فظهر بمحمد الله اني انا اخلل الموافق . والصديق الصادق . والطبيب
الحاذق . اجتهد في مصلحة الاصحاب . وارفع عنهم كلفة حمل الثياب
واخفف اتقالم . وافر اموالهم . واكفيهم المؤنه . واجزل لهم المعونه .
واغنيهم عن شراء الفراء . واحقق عندهم ان كل الصيد في جوف الفرا
كما قاله الحبيب بن حبيب

وملبسي كل ظريف . وشغاف خفيف . مثل الشاش . وما يحصل به
الانتعاش . اما سمعت ما قيل

الشاش في الصيف جنة * ومن اذى الحر جنة

لكنني تعتريني * به لدى البرد جنة
 فلما سمع الشنا هذه المقالة . شمر وضم اذباله . وتنفس الصعداء
 وقال يا عدو السعداء . ما هذه الوفاة . والمجازفة بالصراحة . رمتني
 بدائها وانسلت . يرى القذاة في عين اخيه . ولا يرى المسئلة في عينه تدميه
 يا طالما قتل هذا المجازف كثيرا . ولا ترك اميراً ولا فقيراً . ولا كبيراً
 ولا صغيراً . جلب اليهم اشياء . من السرسام وعضال الداء . وكلف
 الاغنياء السفر الى المواضع الباردة . فهربوا منه وصرخوا المصاريف
 الزائدة . وكلف كل شخص حمل مروحة يطرده بها . ويخفف عن
 نفسه ما نابها من الكرب وحلّ بها . سيما اذا انضم اليه حر الهوى والهوان
 وحر البعاد والمجران . ومع ذلك يخرج الهوى من مروحة حاراً كوقته
 اما سمعت بقصة الفقير الذي عشق مملوك السلطان الاشرف . فحجبه عنه
 ثم رق له حين على الموت اشرف . فامرته بالوصول اليه . فجعل يروح عليه
 فرفع الفقير رأسه وتنفس . وانشد وكان آخر النفس

روّحني عائدي فقلت له * لا لا تزديني على الذي اجد
 اما ترى النار كلما خمدت * عند هبوب الرياح تنقد
 وقال العلامة البدر الساري الشيخ عبد الحميد القاري حفظه الباري
 ايظن ملسوع الفؤاد بانه * ان هزم مروحة يخف لهيبه
 او ما درى ان الهواء يزيد * لهباً اذا ما غاب عنه حيبه
 ومثله للفاضل الاديب الشيخ عثمان الراضي
 ولقد تروّح بيتني * برداً لكبد منه حرى
 فآثار بالمدودمة * صور الهوى فازداد حرا
 وله ايضاً

يا من تروّح بيتني * من الهواء براده

ان الهواء يقينا * هو الهوى وزياده

وقال اخر

ومروحة جعلت راحة * لحر الهجين وتلبيه

كان سليمان اهدى لها * نسيامن الريح تسري به

وقال اخر

ومروحة جاء النسيم بها يجري * يبرد اكبادا اذيت من الحر

حوتها يد كالبحر واليبحر دونها * واطيب ما جاء النسيم من البحر

وقد كتب بعض الادباء الى رفيقه : اشكو الى مولاي صيفاً

لا يطيب معه عيش . ولا ينفع به تلج ولا خيش . وانظروا ايها الناس

الادبا الى هذا الذي يرى رأي اهل اوربا . يتخذ البخل مذهباً .

ويجعله شرفاً ومنصباً . ينسى ما اقترضه الله من الزكاه . طهر الله اعتقاده

وزكاه . الم يسمع ما جاء في ذم البخل . ما هو اشد من لسع النحل .

قال الشعبي ما افلح بجيل قط . اما سمعتم قول الله تعالى «ومن يوق شح نفسه

فالوائك هم المفلحون» . وقال المأمون لمحمد بن عبد الله المهلبى . بلغني انك

متلاف . فقال يا امير المؤمنين منع الجود . سوؤ ظن بالمعبود - وهو

تعالى يقول : وما تنفقوا من شيء فهو يخلفه . وهو خير الرازقين . ويقال

الجيل ابدأ ذليل . ويقال لامرأة لجيل . ويقال شر اخلاق الرجال

الجيل والجن . وهما من اخلاق النساء . وقال الجاحظ البخل والجن

غريزة واحدة يجمعهما سوء الظن بالله . وقال غيره . البخل يهدم مباني

الكرم . وقال الشاعر

لا يسود امرء بجيل ولو مسّ ييا فوخه عنان السماء

وقال اخر

ذريبي فان البخل يا ام هيثم * لصالح اخلاق الرجال سروق

وما انت ايها الصيف الا كما قيل : يمنع دره . ودر غيره . ويجسد
 ان يعطي . ويزهد ان يعطي . قال الشاعر
 وغيظ الحسود على من يجود * لا عجب عندي من بخله
 واني اوصي احبابي ارباب الهمم بلزوم الكرم . واذا قعد الزمان بواحد
 منهم . فليطلب حاجته من الامراء ومن علا مجددا وقدرا
 وقال الشاعر

اذا ما طلبت نوال الفتى * وقد نالك الدهر من شدة
 فلا تسألن فتى كالحناً * نصاب الرياسة من كده
 وقال الاخر

دعوني ورمي في العناب فاني * جعلت عنافي في حياتي ديدني
 واعظم من قطع اليدين على الفتى * صنعة برّ نالها من يدي دفي
 فلما سمع ذلك القيط . كاد ان يتخيم من الغيظ . وقال يا هذا
 ما اجهلك . وما اعقل عقلك . تجاوزت طورك . وما عرفت قدرك .
 ما مرض من مرض . الا بقضاء . وقدر . وترك المحافظة على اسباب الصحة
 والنظر فيما يصلحني ويناسبني . وما يليق بزمني . رحم الله من قال
 صبراً على حلو الزمان ومره * واعلم بان الله بالغ امره
 والحرم من يلقي الخطوب بصدرة * وبصبره وبمحمده وبشكره
 والحرس سيف والذنوب لصفوه * صدى وصيقله نواب دهره
 ليس التوائب غير افعال امره * يجزي به من خيره او شره
 واذا اصببت بما اصببت فلا ثقل * اوذبت من زيد الزمان وعمره
 ولرب امر قد امضك عمره * ليلا فبشرك الصباح يسره
 ولرب ليل في الموم كدمل * صابرته حتى ظفرت بفجره
 وما سافر الناس الى الاراضي الباردة فراراً مني . فاني احل بها
 وهي لا تستغني عني . بل يسافرون لطلب المكاسب . ورؤية العجائب .

وتحصيل التجارب . ونزهة انفسهم . ورياضة افكارهم . في تلك الرياض
وهاتيك الحياض . وتناول الفواكه الشبيهة . والثمار الجنيهة . التي طالما
اشتقت اليها نفوسهم الايبه . فلم يظفروا في زمانك بتلك الامنيه .
وقد قيل :

تنقل فلذات الهوى في التنقل * ورد كل صاف لانتقف عند منهل
ولا اسفاً فيما يصرف في ذلك . فليس لك من مالك الا ما آكلت
فانبتت . اولبت فابلت . او تصدقت فابقيت . وبذلك يظهر فضل
الغني . وجمال عيشه الهني . وهكذا حالي . بمعنى وهو حالي . لا بد
لفضلاء الناس . والسادة الاكياس . ان يتمشوا في تلك الرحاب النسيجه
والرياض النضرة المليجه . مع هاتيك الوجوه الصبيجه . والاصوات الحسنه
المرميجه . والتي للهموم مزيجه . فيزهو زمانهم . ويعلوشانهم . وتصفو
اذهانهم . وترتاح نفوسهم . ولا تضيق صدورهم . بالركون الى الكن
الذي هو عن زينة الدنيا مستكن . المطلوب في زمانك . الذي تغلق فيه
الابواب . وتسد فيه الثقاب . حتى كان صاحبه ليل مظلم . وصاحبه في
حبس مؤلم . وهذا شاعر زمني يتروم

لم لا اهم الى الرياض وطيبها * واظل منها تحت ظل ضافي
والزهر يلحظني بشعر باسم * والماء يلقاني بقلب صافي
اما ما ذكرت من امر المراوح . التي فضلها غاد ورايح . فهي من محاسني
ومن فضل زماني . حسناً لعبت بها الشمول . وغدا لسان حالها يقول
انا في الكف لطيفه * مسكي قصر الخليفه
انا لا اصالح الا * لظريف او ظريفه
او وصيف حسن ال * قد شبيه بالوصيفه
وكذا يقول وقد حفاها القبول

اني اجلب اليا * ح وبي يذهب النخل
 وحجاب اذا الحية * ب ثنى الرأس للقبل
 وكذا يقول وقد جرت الذبول
 انا المحبوبة العظمى * اذا ما الصيف قد اقبل
 واما في الشتا الجافي * فلا اهدى ولا اقبل

اما سمعت ما حكاه ابو الفوارس قال كنت يوماً عند السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فحضر رسول صاحب المدينة . ومعه قود وهدايا فلما جلس اخرج من كمه مروحة بيضاء عليها سطران بالسعف الاحمر وقال الشريف يخدم مولانا السلطان ويقول هذه المروحة ما رأى مولانا السلطان ولا اخذ من بني ايوب مثلها فاستشاط السلطان صلاح الدين غضبا فقال الرسول يا مولانا السلطان لا تعجل قبل تأملها وكان السلطان ملكا حكما فتأملها فاذا عليها مكتوب

انا من نخلة تجاور قبرا * فاق من فيه سائر الناس طرا
 شملتني عناية القبر حتى * صرت في راحة ابن ايوب اقرا
 واذا هي من حوص النخل الذي في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
 فقبلها السلطان ووضعها على رأسه وقال لرسول صاحب المدينة صدقت فيما قلت من تعظيم هذه المروحة . وما احسن قول بعضهم

ومحبوته في القبيظ لم تخل من يد * وفي القر تسلوها اكف الحبايب
 اذا ما الهوى المقصور هيج عاشقا * اتت بالهوا الممدود من كل جانب
 وقال الآخر

يا سائلني عن نسيم طي مروحة * اهدت سرورا بترجيع وترويح
 اما ترى الخوص اهدى من مراوحه * ما اودعته قديما نسمة الريح
 والطف منه قول الآخر

نبيت الحبيب عن المروحة * نغني وحسبك ان اشرحه
لقد خفت ان مرّ فيها النسيم * ولا مس خديه ان يجرحه
وقال الآخر واجاد

ومروحة اهدت الى النفس روحها * لدى القبط مبعوثاً باهداء ربحها
روينا عن الريح الشمال حديثها * على ضعفه مستخرجاً من صحيحها
وقال الآخر

ومبعوثه في كل شرق ومغرب * لها امهات بالعراق قواطن
يحرك انفاس الرياح حراكها * كأن نسيم الريح فيهن كامن
ولله در القائل في المستديره

ومروحة ان تأملتها * ترى فلكا دائرا في اليد
وتطوى وتنشر من حسنها * فتشبه قزعة الهدهد

واما مروحة الخيش فقد قال فيها ابو نواس لعنان جارية الناطفي
اجيزي : العيش في الصيف خيش . فقالت : اذ لا قتال وجيش . وقد
ذكرها الحريري في مقاماته حيث قال اسمعوا وقيم الطيش . ومليتم العيش
وانشد ملفزاً في مروحة الخيش

وجارية في سيرها مشمعة * ولكن على اثر المسير قفوها
لها سائق من جنسها يستحقها * على انه في الاحتاث رسلها
ترى في اوان القبط ينطف ماؤها * ويبدو اذا ولي المصيف قفوها
وهذه المروحة شبيهة بشراع السفينة تعلق بالسقف ليتروح بها وتبله
بالماء وترش بماء الورد ويشد فيها جبل يدار به مشياً فاذا اراد الرجل
النوم يجدها بجبلها فتذهب بطول البيت وتجي فيهب منها على صاحبها
نسيم طيب الرائحة فيذهب عنه الاذى ويستطيب النوم وهي فوقه ذاهبة
جائيه . ولذلك سماها الحريري جاريه

وفيها قال بعضهم

وخيش كما انجرت ذبول غلائل * مصدأة يخال فيها الكواعب
وقد اطلمت فيها السمائل وانثنت * مقيدة عن جانبيها الجواب
ومن ملح الصحاب بن عباد قوله لابي العباس الحارث في يوم قيظ
ما يقول الشيخ في قلبه وهو الخيش جناسا مقلوبا وقال الشهاب ابن ابي حجلة
المروحة محدثة في زمن بني العباس وكان سبب حدوثها ان هارون الرشيد
دخل يوماً على اخته عليّة بنت المهدي في قيظ شديد فوجدها قد صبغت
ثوباً من زعفران وصندل ونشرته على جبل ليخفف فجلس هارون قريباً من
ذلك فجعلت الريح تمر على الثوب فتحمل منه ريحاً بليلة عطرة فوجد لذلك
راحة من الحر واستطابه فأمر ان يصنع له في مجلسه مثله والمروحة منه جاءت
واما مانسبته اليّ من النجّل فهو افتراء . وكذب وبهتان بلا مراء . انما
عنيت بكلامي الذي سلف . ذم السرف الذي يعقبه التالف . كما جاء عن
السلف . وقد قال تعالى في كتابه المبين . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
وانت قد اوصلتهم الى حد السؤال . واليه ارشدتهم ألم تسمع من قال
ما اعتاض باذل وجهه بسواله * عوضاً وان قال الغني بسؤال
واذا السؤال مع التوال قرنته * رجع السؤال وخف كل نوال
وقال الاخر

لنقل الصخر من قلل الجبال * احب اليّ من منى الرجال
يقول الناس كسبك فيه عار * فقلت العار في ذل السؤال
ويروى ان لقمان قال لابنه يا بني حملت الصخر والحديد . فلم ار
اثقل من الدين . واكلت الطيبات . وعانقت الحسان فلم اصب الذ من
العافية . وذقت المرارات . فلم اجد امرّ من الحاجة الى الناس .

وقال الاخر

وذقت مرارة الاشياء جمعا * فما طعم امرّ من السؤال

وقد قيل جلّ في عينيك من استغنى عنك . وقيل من لم يستوحش من
 ذل السؤال . لم يأنف من ذل الرد . وكان مطرف يقول اذا كانت
 لاحدكم حاجة فلا يواجهني بها فاني اكره ان ارى فيكم ذل المسألة .
 ولكن ليرفعها في رقعة . فان الشاعر قد صدق في قوله .

يا ايها المعتاد بذل الجمال * وطالب الحاجات من ذي النوال
 لا تحسبن الموت موت البلاء * وانما الموت سؤال الرجال
 كلاهما موت ولكن - ذا * اشد من ذاك لذل السؤال

وقال اخر

لا تغضبن على امرء * لك مانع ماس في يديه
 واغضب على الطمع الذي * استدعاك تطلب مالهديه

وقال اخر

لا تكن طالباً لما في يد النا * س فيزور عن لقاءك الصديق
 انما الذل في سوالك للناس * س ولو في سوال ابن الطريق

وقال اخر

من عف خف على الصديق لقاءه * واخو الخواج وجهه مملول
 واخوك من وفرت مافي كبسه * فاذا اعترضت له فانت ثقيل
 فلما سمع الشتاء . قال ما زلت تلزني يا فتى . بسبي الخطاب . وتموه الجواب
 وترلقي الصعاب . وانت بعيد عن الصواب . ولولا اني موجود . لم تفرح
 بموجود ولا بعود . ولم تنفخر بخضرة الرياض . وتدفع مائها الفياض . الم
 تسمع ما قيل ايها الثقيل .

خضرة الصيف من بياض الشتاء * وابتسام الثرى بكاء السماء
 فماتت الا لثيم . خب ذميم . لا تعرف المعروف . بل ولا انت معروف
 ارى الاحسان عند الحر ديننا * وعند النذل منقصة وذما

كياه القطري في الاصداف در * وفي جوف الافاعي صار سما
ولو نظرت الى نفسك . وعرفت ما قيل في وصفك ما هت بينت شفه
ولا نطقت بذاك السفه . ولا خرجت الى ميدان المفاخرة . ولا تعرضت
للمناظرة فانظر الى قبيح عمالك . وسوء فعلك . اذا جاء النهار . ففتح فيه
ابواب النار . واشتد الكرب والقلق ونضحت الابدان بالعرق . فغير لون
الثياب وعلاها . فان كانت جديدة حلها وابلاها . او قديمة زاد في
تمزيقها وبلاها . وتخرج منها رائحة بعظم بلاها كما قال فيه ابو بكر هذا (١)
عرق نقاطر في ثياب * كالبول رائحة ولونا
فيذيبها ويميت نفسا * يؤذي الوري ويزيد هونا
وتعظم حرارة الشمس . وربما ادخلت الرمس كما قال بعضهم الشمس
تشخب اللون . وتغير العرق . وترخي البدن . وتغير المرة ان احتججت
فيها امرضتك . وان اطلت النوم فيها اظلمت . وان قربت منها صرت
زنجيا . وان بعدت عنها صرت صقليا . وكما قال الشاعر

يقال تركت الذي حسنه * يكاد يحجل شمس الضحى
فقلت وشمس الضحى تحمى * اذا بسطت في المصيف الاذى

ولله در القائل

في خلقه الشمس واخلاقها * شتى عيوب ستة تذكر
من صحتها النور لأمسائها * مغاير للاشياء لا يفتر
رمداه عشاء اذا اصبح * عمياء عند الليل لا تبصر
ويفتدي البدر لها كاسفاً * وجرمه من جرمها اصفر
حرورها في القيظ لا تنق * ونورها في القر مستحقر

«١» قوله ابو بكر هذا اي الحاضر مجلس المفاخرة والراوي للمناظرة وهو
المنشي وهو المراد في كل ماسياً في انتهى

ليست بحسناء وما حسن من * يقصر عنه اللفظ اذ يخبر
 وصار الماء حاراً كأنه من حميم . وشاربه من سكان الجحيم .
 ينسبه ما يجده من التيهاب . ان يحمد الله على شرابه . وخرج السموم يتلهم
 ويزار . ويطرق الابواب . ويشوي الوجوه . وينسف التراب . فقتند
 به الحرارة والغموم . وتضاعف به على العاشق الهموم . كما قال ابو بكر هذا
 بعاذك والهوى وهيب عدل * سموم في سموم في سموم
 صدودك والوشاة ومر عيشي * سموم في سموم في سموم
 وقال الاخر

رب يوم هواؤه يتلظى * فيحاكي فؤاد صب متم
 قلت اذخذ حره حرّ وجهي * ربنا اصرف عنا عذاب جهنم
 فقام الصيف وقد تفصد عرفاً . وصوت سمومه فرقا . وقال ايها الشتاء
 الخابط خبط عشواء . الراكب متن عمياء . والشائب وهو في العيب والعاء
 اتفاخرني وانت في الحضيض وتناظرني وانت التقليل البغيض . تجعل
 المحاسن مساويا . وتمشي على المكر طاويا . تمن علي . وتزعم انك اسديت
 الي ان كان الامر كذلك . فما انت الا كما قيل هنالك .

لا تمدحن ابن عباد وان هطلت * كفاه بالجود حتى انجمل الدجما
 فانها خطرات من وساوسه * يعطي وينع لاجنالا ولا كرما
 ولو سلم فقد اصنعت بالامتنان . والاساءة والبهتان . الم تسمع ايها
 المان . ما قيل في ذلك الزمان

اذا زرعت جميلا فاسقه غدقا * ماء المكارم كي ينمو لك الثمر
 ولا تشنه بين فالذبي ذكروا * من عادة المن ان يؤذى به الشجر
 وقول الاخر

اذا الجود لم يرزق خلاصاً من الاذى * فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقياً

وفي النفس اخلاق تدل على الفتي * اكان سخاء ما اتى ام تساخيا
اما حرارتي فهي من حرارة الشمس . لانها تكون اذًا في البروج
الشمالية واقرب من الرأس كما قال الشاعر . حاوي الفاخر

ان العلى حدثتني وهي صادقة * فيها تحدث ان العز في النقل

وان في شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوماًدارة الحمل

افتعيبها بذلك وهي تدبير الحكيم المالك . ما انت الا هالك

وفي تعب من يحسد الشمس نورها * ويجهد ان يأتي لها بضرب

اما تعرفبها الاوقات . ويشند النبات . ويستدل على طريق الصواب

ويعلم عدد السنين والحساب . قد جعلها الله رحمة للعباد . ومصليحة تدرأ

الفساد . قال ارسطو الحكيم . في الزمن القديم . لو توارت الشمس عن

الارض لمات حينها . واتن طينها . وجد مأوها . لانها في الارض

كالكبد وكالدم في الجسد . وقد تغزلت فيها الشعراء . بما هو ازهي من

الزهرة الزهراء . فن ذلك قول بعضهم

وسائرة لا ينقضي الدهر سيرها * وليست على حي من الناس تنزل

لها صاحب لم تلقه الدهر مرة * على اثرها يمشي يسير ويعمل

وما هي الا كاقيل . الشمس بين الكواكب . كالملك بين الموابك

والباقي كالاغوان والجنود . وجمال الرايات والبنود . فهي جمال ايامي .

ومدة مقامي . حتي يأتي زمانك المشوم . فتبعد في جهة الجنوب المعلوم .

وتخفي بالغيوم . التي تأتي بالغموم كما قال الشاعر

جاء الشتا واجتال غيم اغبر * وتطلعت شمس عليها مغفر

وقال ابن المعتز

نظل الشمس ترمقنا بطرف * خفي لحظه من خلف ستر

تحاول فتق غيم وهو بأبي * كمنين يحاول فتق بكر

ولذلك قالوا في المثل : شمس الشتاء للشيخ الذي طعن في السن وبلغ ساحل الحياة كما اقي ما هو الا شمس العصر على القصر واما خروج العرق من الجسد . فذاك من لطف الله الأحد . ومن تمام الصحة واذا قوبل بالمروحة . كان لذة وراحة . وعرفه تابع لقبه فان كان مطيباً فانه يتحدر وينثر مشع كالسك الازفر قال الشاعر : «الطيبون ثياباً كلما عرفوا» . قال انس ابن مالك رضي الله عنه : دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فنام عندنا ففرق وجاءت امي بقرورة فجملت تسلت العرق فيها فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال يا ام سليم ما هذا الذي تنفلين قالت عرقك فجمعه في طيننا وهو من اطيب الطيب وما احقه بقول القائل

تنشق مسك اصداغي حلالا * فهذا الطيب من عرق الجبين
وتراه يتقاطر كاللؤلؤ اذا انتثر . او الطل على اوراق الشجر . او

دمع الحب عند الفراق والسهر . كما قال ابو بكر هذا

عرق الحبيب اذا تحدر * كالطل في ورق نضطر

او لؤلؤ يزهر وينثر * او دمع مهجور نضطر

وما الطف قول بعضهم

قيلت وجنته فالفت جيده * شجلا ومال بعطفه المياس

فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس

فكانتي استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من انفاسي

وقال الاخر

سقى الله روضاً قد تبدى لناظري * به شادن كالغصن يلهو ويمرح

وقد نضحت خداه من ماء وردة * وكل اناء بالذبي فيه ينضح

وقال الاخر منضمناً

وظل علي ورد حكي خد غادة * به عرق من شجلة يتصبب

واوراق كرم قد حكت كف سائل * لمن بات في نعمائه يتقلب
وقال آخر

بدا عرق في خده فسأته * بماذا تندى قال لي وهو يمزج
الا ان ماء الورد خدي اناؤه * وكل اناء بالدي في ينضح
وما اطرف قول الآخر

في خده عرق بدا * ذا حمرة لصفائه
هذا يصدق قولهم * الماء لون انائه
ولله در القائل

وكل الطل اوراق الغصون ضحي * كما تكلم خد الخلود بالعرق
واطلق الطير فيها شجر منطقته * ما بين مختلف منها ومتفق

واما الماء فانه لوجود الباعث هني . ولا بطيب ولا يلد الا في زمي
يبرد بالليل والسموم . فيشفي الغليل والهموم . واما في زمانك فلا يساغ
وليس له باعث ولا مساغ . يجمد ويحجر . وربما قتل واخبر . وقد شاع
واشتهر . والعذب يهجر للافراط في الخصر . قال معاوية رضي الله عنه
ما شيء الذي عندي من شربة باردة في يوم صائف ونظري الى بني وبني
بني بدرجون حولي . واما ما ذكرت من السموم . فدواؤه معلوم . وبه
يصبر عين النعم . واطيب من النسيم . اذا انزوى صاحبي الى جانب
بيته او روضه . وسكب الماء حوله على ارضه . طاب هواؤه . وبرد ماؤه
اما فضله وتبجته وفائده وثمرته فأمر عظيم . ونعم مقيم . النخل الباسقات
الجسان . التي وصفها خالد بن صفوان . بقوله : هي الراسحات في الوحل .
المطعات في الجهل . الملقحات بالفحل . المونعات كشهد النحل . تخرج
اسقاطا . غلاظاً وواسطاً . ثم تنشق عن قضبان الجين وعسجد . كالدر
المنضد . ثم نصير ذهباً احمر بعد ان كانت في لون الزبرجد

كان النخل الياسقات وقد بدت * لناظرها حسناً قباب زبرجد
وقد علقت في فرعها زينة لها * فناديل ياقوت بامراس عسجد
وقال الاخر

روض كخضر العذار وجدول * نقشت عليه يد الشمال مباردا
والنخل كاهيف الحسان تزينت * فلبسن من اثمارهن فلائدا
اما سمعت ما حكى من ان ملك الروم كتب الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ايام خلافته بلغني ان يبلك شجرة تخرج ثمراً كاذان الحمر
ثم تنشق عن احسن من اللؤلؤ المنضد . ثم تخضر كالزبرجد الاخضر ثم
تحممر وتصفرتكون كشدور الذهب وقطع الياقوت ثم نبتع كاطيب الفالودج
ثم تبس فتكون قوتا فان كان كذلك فلا شك انها من شجر الجنة .
فكتب اليه صدقت رسلك وانها الشجرة التي ولد تحتها المسيح عليه السلام
ولله در من قال في وصف جماره

جسم لطيف المس لكته * قد لف في ثوب من الصوف

وقال الآخر واجاد

اهدى لنا جمارة * من لست اخلو من عذابه
فكانما هي جسمه * لما تجرد من ثيابه

وقال الاخر في وصف طلعه

كصدر فتاة ناهد شق قلبها * سماع فشقت عنه ثوباً ممسكا

وقال ابن المعتز

افدي الذي اهدى لنا طلعة * اهدت الى قلبي المشوق بلا بلا
فكانما هي زورق من فضة * قد اودعوه من اللجين سلاسل

وقال الاخر في بلحة

اما ترى النخل اطلمت بلحا * جاء بشيراً بدولة الرطب

مكاحل من زمرد خرطت * مقمعات الروس بالذهب
وقال الاخر في بسرة

انظر الى البسر الذي تبدى * ولونه قد حكى الشقيقا
كأنما خوصه عليه * زبرجد مثر عقيقا
وقال الاخر فيه

اما ترى النخل حاملات * بسرا حكي حمرة الشقيق
كانه من عقود تبر * منظم السبك بالعقيق
وقال الآخر فيه

اما ترى البسر الذي * قد جاءنا بالعجب
كيف غدا ولونه * كعاشق ملتب
وقال الآخر في رطبة

اما ترى الرطب المجنى لا كله * حلوى أعدت لنا من صنعة الباري
ما باشرتها يد العقاد في عمل * في الدست يوماً ولا حطت على النار
وقال الآخر في وصف رطبة وثمره

اهلج من الجين * مسمر بالنضار
يشف مثل كؤوس * مملؤة من عقار

وقال آخر

اهدى لنا رطباً خل * اخو ثقة * يا حبيذا هو من رزق لنا رزقا
يدوب من قبل مضغ الاكلين له * انسى به اذا اتانا اللوزج العبقا
كانه الند لوناً والعبيق ذكا * والشهد طعماً بماه الورد قد فتقا
فظهر بحمد الله العلام . افي محض خير وانعام . بي نضجت الثمار
وصلح الرطب واستحکم الحب وادرك الحصاد . واخصبت الارض وكثر
الريف وازداد . ودرت اخلاف النعم . وشمخت البهائم . واشتدت قوى

الابدان . وبطر الانسان . وصارت الدنيا كأنها عروس منعمة رعاء .
 ذات جمال وبهاء . واما انت ايها الشتاء اذا جئت جاءت غمة غاء . ترعب
 القلوب وترعد الاعضاء . بصوت كرنير الاسد . وتأ في برباح مزعجة تنسف
 التراب في وجه كل احد .

وريج بضل الروح عن مستقره * وتستلب الركبان فوق الركائب

وقال ابن المعتز

بلينا وقد طاب الشراب واوقدت * حمياه في الفتیان نار تشاط
 بابرد من كانون سيف في يوم شمال * واكثر قسواً من رياح شباط
 واني قد خصصت بنسيم الصبا . نسيم الروح والصبابة والصبا . مذكر
 ايام الشباب . وحامل رسائل الاحباب . ينفس عن المكروب . ويداوي
 القلوب . وهو لطيف صافي . وظريف شافي . يذكي الازهان . وينفع
 الابدان . ويبسط الاخلاق وينشط الكسلان ولا سيما ان مرمروج
 الازهار . فانه يحمل قواها الى الدماغ والجنان كما اشار الى ذلك الشاعر
 وصبا انت من فاسيون فسكت * بهوبها وصب الفواد البالي
 خاضت مياه النيرين عثية * وانثك وهي بليلة الازبال

وقال الآخر

لا تبعثوا غير الصبا بئجة * ما طاب في سمعي حديث سواها
 حفظت احاديث الهوى وتضوعت * نشرأ فيالله ما اذكاها

وقال الآخر

يداوي اسي العشاق من طيب ارضكم * نسيم صبا اضحى عليه قبول
 بروحي من ذاك النسيم اذا سرى * طيب يداوي الناس وهو عليل

وقال الآخر

سرت من بعيد الدار لي نسمة الصبا * وقد اصحبت حسرى من البير ضالعه

ومن عرق مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب انقاسها متابعه

وقال الآخر

ايا جبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الي نسيمها
اجد بردها او تشفى مني حرارة * على صكبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح اذا ما نسمت * على نفس مهموم تجلت همومها
والشمال وان كانت تهب في زمانك بقوة . فهي في اكثر اوقاتي تأتي
بلطف وحنوه . كما قال الشاعر

وكما هبت شمالية * اسألها عنك واستغبر

اعرف منها طيب انقاسها * اشارة عندي هي العنبر

وكان الصاحب بن عباد يترجم بقول ابي نواس

هبت لنا ريح شمالية * منّت الى القلب باسباب

ادّت رسالات الهوى بيننا * عرفتها من بين اصحابي

وقال الآخر

وهبت لاصحابي شمال لطيفة * قريبة عهد بالحبيب بليل

ترانا اذا انقاسنا مزجت بها * ترنع في اكوازنا وتميل

وما الطف قول الآخر

جاد النسيم على الربا * بندى بديه وقال لي

انا ما اقصر عن ندى * وكما علمت شمالي

وما ارق قول الآخر

الا يا نسيم الريح مالك كلما * تدانيت منا زاد نشرك طيبا

اظن سلمي خبرت بسقامنا * فاعطتك رباها فجئت طيبا

يا هذا تضر العيون والاسماع . وتحدث الزكام والصداع . وبأقني
معك مطر مداوم . كأنه خصم ملازم . برعود ترعج القلوب . وغيوم

تزيد في الكروب . وسحاب مركوم . يضاعف الغموم . وبروق تجبر
 العيون . ويحقق منها قلب الحزون . فيعوق المواعيد بين المحبين . ويؤذي
 المسافرين . ويخرب العمران . ويهدم البنيان . فكم من قتيل تحت هدمه
 وساهر تحت وكفه . وغريق في لجته . وصرع في هوته . قال اعرابي
 اصابتنا مسافر . يؤذي المسافر . ولا يرضي الحاضر . وقال الشاعر
 صبرت منزلي خرابا ومن عا * داتها ان تخرب العمورا
 وقال ابن المعتز

رؤينا فما زدنا يارب من حيا * وانت على ما في النفوس شهيد
 سقوف ليبي صرن ارضا ادوسها * وحيطان داري رقع وسجود
 ويقال المطر مفسد الميعاد ويقال عافت الامطار . عن الاوطار .
 وحالت الاحوال . عن الوصال . قال الشاعر

لاترج شيئا خالصا نفعه * فالغيث لا يخلو من العيث

وقال اخر

ابرد من برد انكواتين * زيارة الراجل في الطين

لا يصلح التسليم يوم الندى * الا لاصحاب البراذين

وينزل معه البرد والثلج . ويكون على الناس اشد من الثلج . يخرج من
 الزمهير . ويجعل الماء كالقوارير . وهذه ارض مصر بضرها ويؤذي
 زروعها واذا جاء اليها ارتاعت قلوب اهلها وقد خصها الله بالنيل
 الذي يكون وفاؤه في زماني . فيأتي بالسرور والرخاء والاماني . اما
 سمعت ما قيل

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر ازاهره
 وللوفاء عمود من اصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشائره

وقول الاخر

لعمر ك ما مضر بمصر وانما * هي الجنة العليا لمن يتفكر

وابناؤها الولدان والخور عينها * وروضتها الفردوس والنيل كوثر
وما الطف قول الشاعر

فلوان السحاب همى بعقل * لما اروى مع النخل القتادا
ولو اعطى على قدر المعالي * سقى الهضبات واجتنب الوهادا
وتوقد فيك النيران . فيطير شررها في المكاف . ويمحرق الثياب
ويجعلها سودا . كنى بذلك شوْماً معدودا . كان الناس حولها . مجوس
يعبدونها . يعرضون عليها في جميع اوقاتهم . وهي لباسهم وهي فاكهتهم
قال الشاعر

النار فاكهة الشتاء فمن يرد * اكل الفواكه شاتياً فيلصطل
وقال الاخر

رايت بلاد الروم لا عيش عندهم * بطيب ولا صفو يعادل اكدراى
وكيف يطيب العيش لي بين فتية * نهراً وليلا يعرضون على النار

وقال الاخر

وصوة في مجلس * كانها جهنم . وحولها زعانف * كلهم مهمم
والمقتسل في زمانك . يشرف على الحمام . فيكثر في ابامك دخول
الحمام . الذي قال فيه الامام علي كرم الله وجهه بسئ البيت الحمام
تكشف فيه العورات . وترتفع فيه الاصوات . ولا يقرأ فيه آية من
كتاب الله تعالى . وقد ذمه الرقاشي بقوله يهتك الاستار . وولف
الافذار . ويذهب بالوقار . وفي الخبر . ان الحمام من بيوت الشياطين .
قال الشاعر يحث على سرعة الخروج منه . والبعد عنه

خذ من الحمام واخرج * قبل ان يأخذ منك . حدثاً عنه والا * حدث الحمام عنك

وقال اخر

وحمام رأيت بها غزالا * كبد النتم في غصن قوم

فقلت تعجبوا من صنع ربي * رايت الخور في وسط الجحيم

وقال آخر

وحمام دخلناها لآمر * حكت سقرا وفيها المجرمونا
بنادي داخلوها اخرجونا * فان عدنا لمانا ظالمونا

وقال آخر

ان حمامنا الذي نحن فيه * قد اناخ العذاب فيه وخيم
مظلم الارض والسم والنوا * جي كل عيب من عيبه بتعلم
وله مالك غدا خازن النا * ر بل مالك ارق وارحم
كما قلت قد اظلت عذابي * قال لي اخسا فيها ولا نتكلم
قلت لما رايت به يتلظى * ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

وقال آخر

جئت اريد الحمام يوماً * ففزني النعش والحصير
حتى اذا جئت نلت ريحاً * كأنها تنبش القبور
والناس عند الصدور فيها * قد يبست منهم الصدور
تعرف هذا من حسن هذا * وقد علا منهم الهدير
انقل خوف الوقوع رجلي * فيها كما ينقل الضرير
جهنم لا يصاب فيها * وحمج بل الكحل زمهرير
قد عرفت فالحديث عنها * بنص اوصافها يسير
وكما جاءها زبون * قلنا ألم باتكم نذير

وقال آخر

حمامنا من ضيقها تشكي * كأنها صدر وقد اخرجوه
فهي لظى نزاعة للشوس * وماؤها كالمهل يشوي الوجوه
قلنا سمع ذلك الشتاء * قال يافى ما احزاك في التمثال بقول من قال

لي صاحب افديه من صاحب * حلو التها في حسن الاحتيا ل
 لوشاء من رفة الفاظه * الف ما بين الهدى والضلال
 يكفيك منه انه زبما * قاد الى المعجور طيف الخيال
 ماهذه السفسطة والمشاغبة والمغالطة اما ما ذكرت من تجمد
 الماء وتحجره من بردي فذلك من الخطأ الذي يزري بقائله ويردي
 فقد قال الجاحظ . الماء ليس يجمد للبرد فقط . فقد تكون الليلة باردة
 جداً ولا يجمد الماء . ويجمد في الليلة التي هي اقل بردا منها . وقد يختلف
 جمود الماء في الليلة الساكئة وذات الريح . قال وقد اخبرني من لا ارتاب
 في خبره . انهم كانوا في جبل يستغنون فيه بلبس المبطنات . ومتى صوا
 ماء في اثناء من زجاج جمد من ساعته . فليس جمود الماء من البرد فقط .
 ولا بد من شركة . ومقادير واختلاف جوهر . ومقابلات كسرعة البرد
 في بعض الازمان . وابطائه عن بعض وكاختلاف عمل البرد في الماء
 المغلي والمتروك على حاله ولقد رايت انا بالبادية الماء قد بلغ به البرد الى
 حد ما كنت اطيق ان اباشره وهو مع ذلك على حالة لم يعمل فيه
 الجمود وربما جمد ماء جيحون حتى بلغ غلظ الجمد فيه ذراعاً فصاعداً وشربه
 لذيد لا يقدر الشارب ان يعبه عما كذا افاده الزبخشري واما الماء البارد
 في زمانك فهو منسوب الي ومدحه عائد علي وقد ذكر الوداعي في
 تذكرته قال حدثني جماعة من اهل عانه وهي من العراق انه اذا كان
 اوان الاربعينيات في الكوانين طرحوا في الماء كيزانهم وشربانهم
 مدة الاربعينيات فاذا انتقضت رفعوها الى زمان الصيف وشربوا فيها الماء
 فانها تبرد برداً كثيراً يقوم مقام الثلج كما نقله بعضهم قال وذكر لي الوزير
 العالم الفاضل فخر الدين عبد الرحمن بن مكاس ان ماء طوبه اذا شيل
 الى الصيف وسكب في آية الماء برد الى الغاية وان ماء هذا الفصل لا يفسد
 اذا شيل بخلاف غيره من الفصول فانظر هذا الاستعداد لاجل حركة

الذي يزيد الاكباد اما الرياح التي في زمي فانها كما قيل
رياح تبشر الارض بالقط * ركذيل الغلالة المبلول
ووجوه البقاع تنظر الغيا * ث انتظار المحب رد الرسول
وما هو من هذا القليل
والريح تجذب اطراف الرداء كما * افضى الشقيق الى تنيه وسنان
وليست كما قيل
الريح اقود ما تكون لانها * تبدي خفا بالردف والاعكان
وتميل بالاغصان عند هبوبها * حتى تقبل اوجه الغدران
فلذلك العشاق يتخذونها * رسلا الى الاحباب والاطوان
وقيل الرياح اربعة ريح تقسم السحاب وريح تثيره فيجعله كسفا وريح
تؤلف بينه فيجعله ركاما والشمال تفرقا قال مطرف لو حبست الريح عن
الناس لانتن ما بين السماء والارض وعن ابى هريرة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول . الريح من روح الله . ولم يصف احد
الريح الا القائل الفصيح

كأن شكل الهلال فُرط * او عطفة النون او قلامه
كأن لون الهواء ماء * او سندس رق او غمامه
وكانك لم تسمع قول القائل . ايها الصيف القائل
ويوم قيظ اذاب جسمي * والماء لم يشف لي غليلا
قد صح موت النسيم فيه * وكان عهدي به عليلا

وباعديم الحيا . تدم المطر والحيا . الذي هو قوام العالم . وحياة بني
آدم الذي مدحه الله في كتابه المبين . وجعله رحمة ورزقا للعالمين .
ومدحه الادبابة حديثا وقديما . ثرونظا . قال بعضهم - مرحبا بالغيث
الذي اغاث الانام . واروى الهضاب والاكام . واحيي النبات والسوام

وقال آخر يافرحنا بالغيث الذي احبب الوري . ونبه عيون النور من الكرى
وقال ابن عباس رضي الله عنه . المطر بعل الارض . بمعنى انه يلقيها ومنه
اخذ ابن المعتز قوله .

ومزنة مشعلة البارق * تبكي على الارض بكاء العاشق
تنلقح بالمطر بطون الثرى * والقطر بعل التربة التائق

وقال بعضهم

اتي هنا النشار على نظام * وجاء الخير اذ جاد الغمام
فالوسمي في ارضي بكاء * وللزرع ابتهاج وابتسام

وقال آخر

قنا فاعجبا من هامل الغيث انه * لا عجب شيء يعجب العين والفكر
يد على الافاق يبيض خيوطه * فينسج منه للثرى حلة خضرا

وقال الاخر

كأن السحاب الغرما تجمعت * وقد فرقت عنا العموم بجمعها
نياق ووجه الارض قعب وثلجها * حليب وكف الريح حالب ضرعها

وقال الاخر

يهنيك ان القطر حين بدا * نشر السرور به من الرمس
نطقت بنات اللهو فيه معاً * من بعد بعد الصوت والممس
يا هذا اتدم السحاب والنعيم . والرعده والبرق . وقد ابدى الشعراء فيهما

كل معنى راق ورق . فمن ذلك قول بعضهم

سحاب اتي كالأمن بعد تخوف * له في الثرى فعل الشفاء بمدنف
أكب على الافاق اكباب مطرق * يفكر او كالنادم المتلف
ومد جناحيه الى الارض جانحا * وراح عليها كالغراب المرفوف

وقول الاخر

اما ترى الرعد بكى واشتكى * والبرق قد اومض فاستضحكا

فاشرب على غيم كصبغ الدجى * افحك وجه الارض لما بكى
وقول الاخر

يوم له فضل على الايام * مزج السحاب ضياءه بظلام
فالبرق يخفق مثل قلب هائم * والقيم يبكي مثل طرف هامي
وكأن وجه الارض خد متيم * وصلت دموع سحابه بسجام
فاطلب ليومك اربعاً من المنى * وبهن تصفو لذة الأيام
وجه الحبيب ومنظراً مستشرقاً * ومعنياً غرداً وكأس مدام
وقول اخر

كأنما الرعد بها ناكلة * نادبة تخلط نوحها بشجي
فاقده واحداً تذكرت * ما قدمضى من عيشها ومن مضى
والبرق في حافاتهما يفعل ما * يفعل وجد الحزين في الحشا

وقال الاخر

بالله يابرق ان اومضت في السحر * وحارس اللحظ في شك من الخبر
قف بالفتيات واذا كرفي اذا عذبت * منبهلات عذيب الثغر في السحر
وتدم ايها العليح البرد والتلج . الم تنظر الى حسنهما ولطفهما الم تسمع ما قيل في وصفها
فمن ذلك قول بعضهم

ثرت على الحصباء كالحصباء بل * التقت على الرضراض كالرضراض

وقول الاخر

ثر الجو على التراب برد * اي در لخور لو حمد

وقول الاخر

جاءت تهادي في برود من حيز * تشر درا كان لو ذاب مطر
تطير في الجو كقوار الزهر * او شرر لو كان للماء شرر

وقول بعضهم

نظر الى وسط البسيطة ايضا * لم تبد فيه شامة سوداء
كرم السحاب فعم بالثلج الثرى * ان الكريم له اليد البيضاء
وقول الآخر

اقبل الثلج فانبسط للسرور * ولشرب الكبير بعد الصغير
اقبل الجو في غلائل نور * وتهادى بلؤلؤ منشور
فكان السماء صاهرت الار * ض فكان الثار من كافور

وقول الآخر

ذهب ككؤسك يا غلا * م فانه يوم مفضض

وقول الآخر

اما ترى البرد قد وافت عساكره * وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا
والارض تحت ضرب الثلج تحسبها * قد البست جبكا او غشيت ورقا
فانهض بنار الى فحم كانهما * في العين ظلم وانصاف قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصبحين سلا * بردا فصرنا كقلب الصب اذ عشقا

وقول الآخر

راحت به الارض النضاء كانهما * من كل ناحية بشغرك نضجك

وقول الآخر

نثر السحاب على الغصون ذريرة * اهدت لنا نورا يروق ونورا
شابت ذوائبها فعدن كأنها * اجفان عين تحمل الكافورا

وما احسن قول الآخر

طربت الى الصبوح مع الصباح * وشرب الراح والفر الملاح
كان الثلج كالكاפור نثرا * ونار عند نارنج وراح
فشموم ومشروب ونار * وصبح والصبوح مع الصباح
لهيب في لهيب في لهيب * صباح في صباح في صباح

وكان الصحابي بن عباد اذا شرب ماء بثلج انشد على اثره
 قعقة الثلج بماء عذب * تستخرج الحمد باقصى القلب
 ثم يقول اللهم جدد اللعن على يزيد وقالت رابعة القيسية ما سمعت
 الاذان الا ذكرت منادي يوم القيامة وما رايت الثلج الا ذكرت تطاير
 الصحف وما رايت الجراد الا ذكرت المحشر وهكذا اهل الاعتبار والفكر
 لم في كل شيء نظر واما ما ذكر من امر مطر مصر فهو مثل يضرب للشيء
 النافع يتضرر به في كل عصر فهو من عيوب مصر لم تسمع هذا الشعر
 يقولون مصر اخصب الارض كلها * فقلت لم بغداد اخصب من مصر
 وما مصر الا بلدة مثل غيرها * تعاقبها الايام بالسر واليسر
 ولكنكم تطرونها بهواكم * ولم تخل ارض من محب ومن مطر
 والآفاق من الخصب من معشر بها * يقاسون انواع العذاب من الفقر
 وما خير قوم تجذب الارض عندهم * بما فيه خصب العالمين من القطر
 اذا بشروا بالغيث ربت قلوبهم * كما ريع في الظلماء سرب القطا الكدر
 واين القطر الذي هو كثر الدرر من كثافة النيل الذي يقطع السيل
 ويظم البلاد ويشت العباد ويهدم البناء اما سمعت ما جاء فيه من المها
 فن ذلك قول المستغيث لما طغى

يارب ان النيل زاد زيادة * ادت الى هدم وفرط شت
 ماضره لو جا على عادته * في دفعه او كان يدفع بالتي
 وقول الاخر

قالوا علا نيل مصر في زيادته * حتى لقد بلغ الاهرام حين طما
 فقلت هذا عجيب في بلادكم * ان ابن ستة عشر يبلغ الهرما
 واما استشهادك بقول فلوان السحاب همى بعقل الخ فهو من قبيل
 قول ابن الراوندي

كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه سرزوقا
 هذا الذي ترك الاوهام حائرة * وصير العالم التحرير زنديقا
 وهو احد زنادقة الاسلام الثلاثة والثاني ابو العلاء المعري والثالث
 ابو حيان التوحيدي . قال الحافظ الذهبي واشدهم على الاسلام التوحيدي
 لانهما صرحا وهو يمجج وقد رد عليه كثير من العلماء قوله هذا فمن ذلك
 قول بعضهم

هذا الذي زاد اهل العلم معرفة * وزادهم بالاله الحق تصديقا
 فليس بالجهل صار الرزق منبسطا * وليس بالعلم صار الرزق محوقا
 وانما هي ارزاق مقدره * بحكمة الله فاسأل منه توفيقا
 وما احسن قول بعضهم وهو كالرد عليه ايضا

عجبت من ربي ورببي حكيم * ان يحرم العاقل فضل النعم
 ما ظلم الباري ولكنه * اراد ان يظهر عجز الحكيم
 والله در القائل

ينال الفتى من دهره وهو جاهل * ويكدي الفتى من دهره وهو عالم
 ولو كانت الارزاق تأتي على الحجا * اذن هلكت من جهلن البهائم
 وفصل الخطاب في هذا المقام قول الملك العلام الله الذي يرسل
 الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء فترى الودق يخرج من
 خلاله وقوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا
 اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات
 كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه
 والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون .
 وحسبك ذما قولهم سحابة صيف وقرانم الصيف تأتي فتفر الناس ثم تخلف
 الوعد بالياس فكانها تقول لا مساس وتيجل لاجلك بمل الكاس . واما

النار فلا يتكر فضلها ولا يحجد . ولا يستغنى عنها دائماً كل احد . ومنافعها يطول حصرها ويصعب ذكرها قال تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا . وهي احد العناصر الاربعة واعظم ما زجر عن المعصية واذا وصفوا شيئاً بالحسن قالوا ما هو الا نار موقدة قالت امرأة انا احسن من النار الموقدة وقيل في الاخوان هم بمنزلة النار قليلاً ينفع وكثيرها يضر

وفي الحديث : المصباح مطردة للشيطان مذبة للهوام مدفعة للصوم النابغة . ولا شك انها من محاسني وجمال زمني وقد جاء المثل بها مثبتا النار فاكهة الشتا وقمر الشتا كيف لورايتها في مجلس في كانون يلقى فيه العود بغير قانون قد طار منها الشرار كانهادردر وقت النثار او شهب وقت الانتصار اما سمعت ما جاء فيها من الاشعار فمن ذلك قول بعضهم

هات التي الأبك اصل ولادها * ولها جبين الشمس في الاشماس
يتشع الياقوت في لباتها * بوساوس تشفي من الوسواس
انس الوحيد وصح عين المجتلى * ولباس من امسى بغير لباس
حمراء ترفل بالسواد كأنما * ضربت بعرق في بني العباس

وقول الاخر

لابنة الزند في الكوانين جمر * كالدراي في الليلة الظلماء
خبروني عنها ولا تكذبوني * ألبها صنعة الكيمياء
سبكت فحمها سبائك تبر * رصته بالفضة البيضاء
كلما ولول النسيم عليها * رقصت في غلالة حمراء
سفرت عن جبينها فارتنا * حاجب الليل طالعا بالعشاء
لو ترانا من حولها قلت قوم * يتعاضون اكؤس الصهباء

وقول الاخر

كأنما الجمر والرماد وقد * كاد يوارى من ناره النورا

وردٌ جني القطاف احمر قد * ذرّت عليه الاكف كافورا

وقول الاخر

اما ترى النار كيف اسقمها السة * ر وضحت نجبو وطورا تسعرا
وغدا الجمر والرماد عليها * في قيصين مذهب ومعنبر

وقول الاخر

كانما النار والرماد معا * وضوءها في ظلامه يحجب
وجنة عذراء مسما نجمل * فاستترت تحت عنبر اشهب

وقول الاخر

كانما النار في تلبها * والنجم من فوقها بلظيها
زنجية شبكت اصابعها * من فوق نارنجية تغطيها

وقول الاخر

فحم ذكافي حشاه جمر * فقلت مسك وجلنار
وخد من قد هويت لما * اطل من فوقه العذار

وقول الاخر

وفحم كأيام الوصال فعاله * ومنظوره في العين يوم صدود
كان لهيب النار يوم خلاله * بوارق لاحت في غمام سود

وقول الاخر في كانون

وذي اربع لا يطبق النهو * ض ولا يا أف السير فيمن سرى
تحمله سيجا اسودا * فيقلبه ذهباً احمر
ولا يهتم بها ولا يقدر على ابقاها الا القوم انكرام والسادة العظام
من تجملت بهم المدن والقرى و بسطوا موائد القرى اذا ضل عنهم ضيفهم
رفعوا له من النار في الظلاء الوية حمرا

قال الآخر

ضربوا بدرجة الطريق خيامهم * يتقارعون على قرع الضيفان

ويكاد موقدم يجود بنفسه * حب القرى حطبا على النيران

وقال الآخر

لنيرانه في الحى اى تحرق * على الصيف ان ابطا واي تلهب

وقال الاخر ايضا

متى تأته تمش الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

وقال الاخر

يرد اليك ما اشدته * ويهدم عليك ماشيدته

وقال الآخر

رأيت بلاد الروم عيشي عندهم * بطيب وصفوي لا يشاب بالكدار

فقد ضل من قد قال فيهم بانهم * نهارا وليلا معرضون على النار

وقال ابو بكر هذا ايضا

وصوبة وقت الشتا في مجلس * تزهو على صوب الغمام وتفخر

غامود نور بالمعيق مجوف * من ارضه لسائه اذ تنظر

من حوله اولي النهاء اكابر * خضع الزمان لمجدهم فتأ مروا

وكان هذا الغافل والمسكين الجاهل لم يعرف قدر النار واقسامها وما

ضرب من الامثال فيها مما اضيف اليها وهي نار الله نار ابراهيم نار موسى

نار القران نار الحرثين نار الشجر نار القرص نار الحرب نار الخلف نار

المسافر نار المجوس نار الاصطلا نار الانذار نار الاستكثار نار الاستمطار

نار التهويل نار الصيد نار الزحفتين نار الغضا نار الحلفا نار الجباب نار

البرق نار المعدة نار الحى نار الشوق نار الشر نار الحياة نار الشباب نار الشراب

نار الكي نار الذبالة قيسة العجلان فراش النار سراق النار سعد النار

نافع ضره . واما الحمام فهو لذة الحياة ونعيم الدنيا وشفاء البدن وجمال الحيا

قال جالينوس ان الحمام نافع في الشتاء والصيف ولين مزاجه حار او بارد

او رطب او يابس وليس هذا موضع الاستقصا في منافعه وما قيل فيه ولكن
نذكر طرفاً من مدحه قال ابو هريرة يرفعه نعم البيت الحمام يدخله المسلم
يسأل الله الجنة ويستعيذه من النار قال بعض السلف نعم البيت الحمام ينقى
الاذنار. ويذكر النار ومدحه الرقاشي نفسه بقوله يذهب القشافة ويعقب
النظافة وبغشي التخمة وبطييب النخمة وقال بعضهم الحمام صيقل الاجسام
ونظام النظافة ودافع آفة القشافة وكأنك يا هذا لم تر حمامات بغداد وما
فيها من حسن البناء والاستعداد الم تسمع بحمام بوران وحمام دار الملك
الاشرف الذي اتخذ شبايكه وانايبه من فضة وذهب وبعضها على هيئة
الطيور العجيبة واذا خرج منها الماء صوّت باصوات طيبة الى غير ذلك مما
يدهش اللب . اما سمعت حمام دار جمال الملك وزير المسترشد بالله
العباسي الذي فيه مستراح فيه انبواب ان فركه الانسان يميناً خرج ماء
حار وان فركه شمالاً خرج ماء بارد . اما بلغك حمام منجاب بالبحره
الذي يقول فيه الشاعر

يارب قائلة يوماً وقد ولعت * كيف الطريق الى حمام منجاب
واما ما اوردته من الاشعار في ذم الحمام فذلك في نوع خاص لم
يكن متقناً باحكام بان زادت حرارته او نقصت عن المرام او لم يكن فيه
استعداد تام والحمام النافع هو المعتدل في حره وبرده الطيب الرائحة
والعذب الماء والذي اضواؤه كثيرة مشرقة وفناؤه واسع وفيه تصاوير
بديعة الصنعة بينة الحسن مثل عاشق ومعشوق او مثل رياض وبساتين
وطرد خيل ووحوش فان في تصوير هذه نقوبة القوى الفكرية وغيرها .
قال الحكيم بدر الدين بن قاضي بعلبك في كتاب مفرح النفس : قد
اجمع الحكماء والاطباء والالباء قاطبة على ان النظر الى الصورة الجميلة
البدية الجمال تفرح النفس وتنشطها وتزيل عنها الافكار والوساوس

السوداوية وتقوي القلب قوة لا مزيد عليها بسبب ازالة الافكار الرديئة عنه . ثم قالوا فان تعذر حصول النظر الى الصور الجميلة فليكن النظر الى الصور الجميلة متقنة الصنعة مصورة في الكتب او في الهياكل او في القصور المشرفة وهذا المعنى قد ذكره الحكيم محمد بن زكريا الرازي وبالع في ملازمته لمن لم يجد في نفسه افكارا رديئة ووسوس فاسدة غير موافقة للنظام الطبيعي واطال . يا هذا اما سمعت قول الشاعر

بيت بنته حكام الورى * فهو الى الحكمة منسوب
 مجاور النار وليكنه * يجاور النار به الطيب
 حره هو الروح لاجسامنا * والحر الاجسام تعذيب
 وقول الاخر

اسعيد هل لك في زيارة منزل * نشي عليه جوارح الزوار
 بيت ترى الجدران فيه منابعا * وترى السماء كثيرة الاقمار
 وقول الاخر

قم بنا قبل غرة الاصبح * وقيام السقا بالاقذاح
 نتمشى الى النعيم الذي فيه صلاح الاجسام والارواح
 بيت ظرف تجول عينك فيه * بين بيض الطلا وبيض القفاح
 وتلاقي الجسم في خلع من * ه رفاق على الجسم ملاح
 فاذا ما صقلت جسمك فيه * باكف النعيم صقل الصفاح
 تروى من الصبح وتفت * من نسيم الرياح قبل الصباح
 وقال الآخر

ويت كأحشاء المحب دخلته * وما لي ثياب فيه غير اهابي
 ارى محرما فيه وليس بكعبة * فما ساغ الا فيه خلع ثيابي
 يشابه قلب الصب في حر قلبه * اذا اذنت احبابه بذهاب

توهمت فيه قطعة من جهنم * ولكنها من غير مس عقاب
يشير ضباباً بالبخار مخاللاً * بدور زجاج في شمس قباب

وقال الآخر

لم انس ما عشت حماماً حلت به * ما بين كل رخم الدل فتاف
في جنة من طبايع اربع جمعت * ارض وماه واهواء ونيران
فنت من حرها برداً على كبدي * وفزت من مالك فيها برضوان
فاعجب لها جنة فيها جحيم لظى * تذكر ولم تحل من حور وولدان
ونقل عن ابن بسام قال دخل الاديبان ابو جعفر بن هريرة التليطلي

المعروف بالاعمي وابو بكر بن بقي الحمام فتعاطيا انعمل فيه قال الاعمي

يا حسن حمامنا وبهجتته * مرىء من السحر كله حسن
ماء ونار حماها كنف * كالقلب فيه السرور والحزن

ثم اعجبه المعنى فقال

ليس على لهُونا مزيد * ولا لهُامنا ضرب
ماء وفيه لبيب نار * كالشمس في ديمة تصوب
وابيض تحته رخام * كالثلج حين ابتدا يذوب

وقال ابن بقي

حمامنا فيه فصل القيظ يحتدم * وفيه للبرد حر غير ذي ضرر
ضدان ينعم جسم المرء بينهما * كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

وقال الاعمي وقد نظر فيه الى فتي صبح

هل استمالك جسم ابن الامين وقد * سالت عليه من الحمام انداء
كالغصن باشر حر النار من كذب * فظل يقطر من اعطافه الماء

وقال الآخر

ان حمامنا الذي نحن فيه * اسيء ماء به واية نار

قد نزلنا به على ابن معين * وروينا عنه صحيح البخاري

وقال الاخر

ولم ادخل الحمام من اجل لذة * فكيف وثار الشوق بين جوانحي
ولكنني لم يكفني فيض مقلتي * دخلت لابكي من جميع جوارحي

وقال اخر

ولم ادخل الحمام ساعة بينهم * لاجل نعيم قد رضيت بيومي
ولكن تجربتي عبرتي مطمئنة * فابكي ولا بدري بذلك جليسي

وقال اخر

وما اشبه الحمام بالموت لامر * يذكر لكن ابن من يتذكو
يجرد عن اهل ومال وملبس * وبصحه من كل ذلك مئزر
والغز فيه بعضهم بقوله

ومنزل اقوام اذا ما تقابلوا * تشابه فيه وغده ورئيسه
ينفس كربي اذ ينفس كربه * وبِعظم انسي اذ يقل انيسه
اذا ما عرت الجوطر فانتكاثرت * على من به اقماره وشموسه

فلما تم كلام البرد قال له الحرُّ اَفَ لك من خصم الد وتقبل تجاوز الحد
وفاسق وجب عليه الحد تقابل بالهزل الجد وانت في الغي مجد . واما
ما نسبته الي من ذم المطرف فهو مغالطة وكذب يؤثر انما عنيت كثرته
وتواليه المضر كيف وقد ورد في الخبر : اللهم حوالينا ولا علينا وقال الشاعر
اقلل زيارة من تهوى زيارته * فالتاس من لم يواصلهم اجلوه
كالغيث فيه غياث الناس كلهم * ولو يزيد على بومين ملوه
واما النار والحمام فلا شك ان صحبتها شوم وحمام . واما قولم بحجابه
الصيف فهو مثل يضرب لما يقل لبثه ويخف مكثه وشبه بها غضب
العاشق . وقال احد الحكماء الذين وقفوا على تابوت الاسكندر ورعى كل

منهم بحكمة بالغة : انظر الى حلم النائم كيف انقضى والى سحاب الصيف
 كيف انجلى . وكان ابن شبرمة اذا نزلت به نازلة ينشد سحابة صيف عن قريب
 نقشع . ومن فصل للصاحب سحاب الصيف اثبت من قولك والخط في
 الماء اقوى من عهدك . وفي كتاب المنهج اقبال الدنيا كاللآمة ضيف او
 سحابة صيف او زيارة ضيف . اما سمعت قول الاصفهاني منوهاً بشأني
 طبع الكريم لا يحتمل حمة الضيم وهواء الصيف لا يقبل غمة الغيم . يا هذا
 ليك طويل وعلى القلوب ثقيل يمل منه الصحيح ويغير منه العليل ضاعف
 الوجد على المهجورين وقطع الطريق على المحبين طالما خاطبوه وهو
 لا يجيب ولا يرثي للنقيب قاطن لا يظن او عاجز قد ازم من او هائم ضل
 الطريق او سكران لا يفيق او اسير مكبل في الحديد او دهر لا يبلى منه
 الجديد او اعمى يش من رؤية الصباح او طائر مقصوص الجناح قال الشاعر

ايها النائمون حولي اعيو * في على الليل خشية وادكارا
 حدثوني عن النهار حديثاً * او صفوه فقد نسيت النهارا

وقال الاخر

وليل كواكبه لا تسير * ولا هو منه يطيق اليراحا
 كيوم القيامة في طوله * على من يراقب فيه الصباحا

وقال الاخر

اقول والليل في امتداد * وادمع الغيث في انسفاح
 اظن ليلى بغير شك * قد بات يبكي على الصباح

وقال ابن المعتز

اقول وقد طال ليل الهموم * وسامت نجوى فؤاد سقيم
 ترى الشمس قد مسخت كوكباً * وقد طلعت في عداد النجوم

وقول الاخر

ولرب ليل تاه فيه نجمه * قطعته سحرًا فطال وعسا

وسأته عن صبحه فاجابني * لو كان في قيد الحياة تنفسا

وقال اخر

كان التريا راحة تشبه الدجى * ليعلم طال الليل ام قد تعرضا
فليس تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

وقال اخر

لما رأيت النجم ساد طرفه * والجو قد التى عليه سباتا
وبنات نعش في الحداد سوافرا * ايقنت ان صباحهم قد مانا

وقال الاخر

ان طال ليلى بعدهم فلطوله * عذر وذاك لما اقاسي منهم
لم تسر فيه نجومه لـكـنها وقت لتسمع ما احدث عنهم

وقال اخر

وليلة ارقني طولها * فبتها في حيرة الذاهل
كأنما اشتقت لافراطها * في طولها من امل الجاهل

وقال الاخر

رب ليل كانه الدهر طولاً * قد تنامى فليس فيه مزيد
ذي نجوم كأنها أنجم الشيب ابست تغور لا بل تزيد
ومع طولها الممل تخرج البراغيث كأنها ليوث فتفسد وتعوث فكم من
مغيث ولا مغيث قال الشاعر

رقصت براغيث الشتا فاجابها الـ * ناموس حالاً بالغناء المعلم
وتواجد البق الكثيف بطبعه * طرباً على شرب المدامة من دمي

وقال اخر

لا بارك الله في البعوض ولا * بورك في البق والبراغيث

تناهبونا كأنهم عرب * أوامناء الحكم في الموارث
فلما سمع ذلك الشتاء قال الى متى الى متى تموه الزيف وترتكب حد
السيف تقبح الحسن بكمم مسنحين

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه * والقوم اعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجنها * حسداً وبغضا انه لذميم
اما طول ليلى فهو من فضلي كيف لا وقد جعله الله سكنا ولباسا
وجعل فيه انساً وابتاسا بالايث والسكن والحبيب الاغن وهو وقت الهنا
والمنادمة وم نديم فيه سنك انى دمه الم تسمع ما قاله الارب

انصب نهاراً في طلاب العلا * واصبر على بعد لقاء الحبيب
حتى اذا الليل بدا داجياً * واكتحلت بالغمض عين الرقيب
فبادر الليل بما تستهي * فانما الليل نهار الادب
كم فاسق تحسبه ناسكا * يستقبل الليل بامر عجيب
ارخى عليه الليل اثوابه * فبات في امن وعيش خصيب
ولذة الاحق مكشوفة * يسعى بها كل عدو مرب

وهو وقت القيام والتشهد والناجاة والتعبد فيه انس العباد وحياة
الزهاد . قال الامام المجل احمد بن حنبل : لولا الليل لما احيت البقاء
في الدنيا . وقال الاخر

سهري لتتقيح العيون اللذلي * من وصل غانية وطيب عناق
وهو يطول على صاحب التكر والكثيب وعلى المخبور ومن فارق
الحبيب ويقصر على المسرور النائم والتشهد القائم . قال ابو بكر هذا
يا خليلي طال ليلى بالفكر * وزماني قد رماني بالعبر
ودوائي بالاغاني في مطر * في رياض زاهيات بالزهر

وشفائي في شفاه في لمي * مزجها شهد وخمر في السحر

وقال الاخر

ان الليالي للانام مناهل * تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الموم طويلة * وطواهن مع السرور قصار

وقال الاخر

لا اظلم الليل ولا ادعي * ان نجوم الليل ليست تغور
ليلي كما شاءت فان ما تزر * طال وان زادت فليلي قصير
تصرف الليل على حكمها * فهو على ما صرفته يدور

وقال الاخر

تطاول الليل لا تسري كواكبه * ام ان حار حتى صار حيرانا
ما طال ليبي ولا حارت كواكبه * ليل الحب طويل كيفما كانا

وقال الاخر

ورب ليل امد من نفس العا * شق طولاً قطعته بانجاب
ونعيم اللذة من وصل معشوق تبذله بيوم عتاب

وقال الاخر

رقدت فلم ترث للساھر * وليل الحب بلا آخر
ولم ادر بعد ذهاب الرقا * د ما فعل الدع بالساھر

وقال الاخر

من قصر الليل اذا زرتني * اشكو وتشكين من الطول
عدو عينيك وشائهما * اصبح مشغولا بمشغول

وقال الاخر

يا ليلة كان من نقاصها * يعترفها العشاء في السحر
تطول في هجرنا وبقصر في الوصل فما نلتقي على قدر

وقول الآخر

عهدي بنا ورداء الوصل يجمعنا * والليل أضوله كالسبح بالبصر
فالآن لبلي مذ غابوا فديتهم * ليل الضير فصبحي غير منظر

وقال الآخر

اخو الهوى يستطيل الليل في سهره * والليل في طوله جار على قدره
ليل الهوى سنة في الهجر مدته * لكنه سنة في الوصل من قصره

وقال الآخر

ليل المحبين مطوي جوانبه * مشتم الذيل منسوب الى القصر
اذا الحبيبان بانا تحت جانبه * غابت اوائله في آخر السحر
ما ذاك الا لأن الصبح نم بنا * فاطلع الشمس من غيظ على القمر

وقال الآخر

تطاول الليل عما كنت اعهده * لما نأيت وبات الجفن في قصر
وهما به مثل التذكار شخصك لي * طال الظلام فطالت مدة السهر
واما ما ذكرت من امر البرغوث فهو في الاماكن القدرة يعوث وقد
يوجد في زمانك كما قيل

بالبراغيث طول الليل راتمة * أجل وطول نهار الصيف في جسدي
بليت منها بما تبلى الكرام به * من اللثام واهل البغي والحسد
على انه قد قال الشاعر في مدحه

لا تكره البرغوث ان اسمه * بر وغوث لك لو تدريه
فبره مص دم فاسد * والقوث ابقاظك للفجر
وقد ذكر العلماء فوائد لدفعه وضرده ومنعه لكن لا ينبغي ان شرط

العزيمة الهمة وهي العزم الجازم كما قيل ثم

اذا تخلفت امرا كنت تعهده * يجري الزمان على مجرى عوائده
فالما انت لم تكمل شرائطه * وان ذاك التواني من فوائده

ثم قال معنفاً للصيف باصاحب الحيف تجعل نحاسني عيوباً . وقد كان
العيب عليك مضر و با . اما لنظر الى بومك الطويل . الذي هو كيوم الحساب
وليلتك القصير المليل . الذي تخرج فيه الدواهي من الثقاب واذا تعاطى
الشراب فيه الندامى . اصبحوا وهم امراض ندامى . الم تسمع من قال سيف
زمانى معترفا بشافى

اسقني شربة الذ عليها * واسق بالله مثلها ابن هشام
عسلاً بارداً بهاء صحاب * انني لا احب شرب المدام
فقام الصيف واشهر السيف وزمجر وصال وسطاً وقال . اما طول
نهارى فذاك من علومقداري كيف لا وقد جعله الله معاشاً وجعل فيه
من الریح انتعاشاً ومن كان فرحاً مسروراً يراه قصيراً قال الشاعر
وقصر يوم الصيف فيه وليلة الش * ناء سرور منه رفرف طائرته
وقال الاخر

يطول اليوم لا القاك فيه * وحول نلتني فيه قصير
فله اسوة بطول ليلتك لكن لا سواء ان كنت من اهل الانصاف
والجدوى واما قصر ليلى فمن عدم ثقلي ومن الفرح والسرور وزوال الكدر
والشورور كما انشدت بنفسك من الشعر ولا تشعر يا مقرروررحم الله من
قال يا مقررور

لست ادري اذال ليلى ام لا * كيف يدري بذاك من بتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلى * وبرعي النجوم كنت نخلا
ان للعاشقين عن قصر الليلى * ل وعن طوله من الم شغلا
وقد تغزلت الشعراء بقصر ليل ربيعي بنظم يفوق الشعرا بحسن النوع
البديعي . قال العلامة السعدى في مختصره مانصه : وقد وقع في بعض اشعار
العجم النهي عن التعجب مع التصريح باداة التشبيه وحاصله لا تعجبوا من

قصر ذوائبه فانها كالليل ووجهه كالربيع والليل في الربيع مائل الى القصر
وهذا المعنى من الغرابة والملاحة بحيث لا يخفى اننى وقد نظمته مسند
الحجاز وزينة الزمان السيد احمد بن زيني دحلان بقوله

وجه الخبيسة كالربيع وشعرها * كالليل في الديجور حين يصير
لكن انت تلك الشعور قصيرة * فتجب النقاد وهو بصير
فاجبتهم لا تعجبوا ياسادتي * ليل الربيع لدى الانام قصر
ونظمه العلامة المفضل الشيخ احمد امين بيت المال لا زال في عن
واقبال بقوله

عجب العواذل من اضاءة وجهها * وقصور شعر بالسواد شهير
فاجبتهم هو كالربيع وشعرها * كالليل وهو لدى الانام قصير
ونظمه ابوبكر هذا بقوله

لا تعجبوا من ذا القصير ذوائبا * وجماله بين الانام بديع
شعر كليل والربيع كوجهه * والليل بقصر حين حل ربيع
ونظمه ايضا بقوله

لا تعجبوا من شعرها المتقاصر * وجمالها الباهي ككبدر باهر
فالشعر ليل والربيع بوجهها * والليل بقصر في الربيع الزاهر
واما قولك لا يطيب فيه الشراب وانه يمرض الاحباب فهو فرية بلا
مرية كيف ذلك ومجلسهم منظوم بالبدر والنجوم والنسيم بينهم يدب
ويحوم قال الشاعر

وقد اضاءت نجوم مجلسنا * حتى اكتسبت غرة واوضاحا
ان جمدت راحنا غدت ذهابا * او ذاب تفاحنا غدا راحا
وقال الآخر

يا حسنها ليلة عاد النهار بها * انسا وطيبا واشراقا ولالاء
قال الحسن ابن وهب ثنا شربت البارحة على وجه السماء وعقد الثريا

ونطاق الجوزاء فلما انتبه الصبح نمت ولم استيقظ الا بعد ان لبست قميص
الشمس افي ليالك يلذ الشراب وقد اوقدت النار وطار الشرار وكثر
الدخان وعمشت العينان وسالت المنخران وتلجلج اللسان وبجت الاصوات
وضاق المكان وسدت الاخراق والابواب والرعدة تدخل عليهم من كل باب

ورعدة كقارئ متمتع * او خاطب بجأح لما ان خطب

كاسد يزتر او جنادل * تصطك او امواج بحر تصطب

فازلت تجسس الناس في الكن الذي هو عن السماء وزينتها مستكن
وانا امتع الناس بها ولا من سيم يديرها بهجة الزمن فينظرون ويتعجبون
ويرصدون ويحسبون يطيب لهم السهر ويلذ السمر مع نجومها وبدرها وحسن
منظرها وتلاؤ نورها وانتظام دررها وما هي الا كما قيل كانتها روضة مزهرة
او صرح كس جواربه مسفره او غدير تطفو عليه الفواع او بنفسج نور
افاقه لامع او مسخ التي عليه درر غواص او ستر به لعين كل نجم ووصا ص
او جمر في خلال رماد او كما قال من اجاد

بساط زمرد نثرت عليه * دنابر تحالطها درام

ولله در القائل

رب ليل صحبته كاسف البيا * ل حليف هم شتيت

تحت سقف من الزبرجد قد * رصع حسنا بالدر والياقوت

وما ابلغ قول الاخر

وبتنا نراعي الليل لو بطوى برده * ولم يجمل شيب الصبح في فوده وخطا

تراه كملك الزنج في فرط كبره * اذا رام مشيا في نيجزته ابطا

مطلأ على الافاق والبدر تاجه * وقد جعل الجوزاء في اذنه قرطا

وحسبك ذما بين الملا قولهم في المثل اضيع من قر الشنا كما

قال الشاعر

خاطر يصفع الفرزدق سيف الشع * ر ونحو بينك ام الكسائي

غير اني اصبحت اضع القو * م من البدر في ليل الشتاء
 فقام الشتاء وعبس وتأوه وتنفس وقال رويدا يا هذا كم تهذي بهذا
 الم تعلم بان الحكم على الشيء فرع عن تصوره كيف نعيه من
 غير ادراكه وتديره والامعان في منظره والوقوف على مخبره اما الكن
 الذي في ايامي وبعلمه مقامي فهو مجلس قد انتظم واحتبك وازرى بالسماء
 والفلك عقد فيه لواء الفرح والظفر على راس الانس والسمر وغدا عرف
 نده يوضع وقد اضاء بالشموع

شهب اذا جلب الظلام جيوشه * جلبت جيوش الصبح قبل اوانها
 وقد اشرق بوجوه الندامى الذين فضلهم قد تسمى بقم معلوم يعلو
 على النجوم من كل ماجد شريف ولطيف ظريف وخليل صديق وذوي
 طبع رقيق وحيب يغار منه بدر الدجا وتنكسف منه شمس الضحى
 اضاءت لهم احسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجرع ثاقبه
 ويتفاوضون في حديث من قديم وحديث ارق من التسيم واحلى من
 التسيم والشرح يطول وهذا احدم يقول

وعشنا على رغب العذول بضطة * كأننا خبايا السرفي صدر كاتم
 كأن ليالينا وقد طاب وقتها * بقايا سواد الكحل في جفن نائم
 ويقول الاخر

ولي ولها اذا الكاسات دارت * رقى سحر تحمل عرى الموموم
 معادثة الذ من الاماني * وبث جوى ارق من التسيم
 ووصف بعضهم ذلك المجلس فقال

ومجلس لذة امسي دجاء * يضيء كأنه صبح منير
 تجتمع فيه مشموم وراح * واوتار وولدان وحوور
 تلذذت الحواس الخمس فيه * بخمس يستم بها السرور
 فكان الضم قسم اللمس فيه * وقسم الذوق كاسات تدور

ولسمع الاغانى والفواني * لاعيننا ولشم البخور
ثم قال يا هذا تنفخر بقمر السماء وبدر الدجى الذي يبدو اول الشهر
ناقصاً ويكون في اخره قالصاً وتذكر انثل الذي في جاء فيه نوع هجاء
عند من لم يعرف قدرى وينظر الى بدرى كيف لا وحسنه في اتساق لا
لا يعتبره كلف ولا عحاق

بدرى ارق معاسنا * والفرق مثل الصبح ظاهر
ولسان حالى يقول

ليل الحمى بات بدرى وهو معتقى * وبات بدرك مرميا على الطرق
شتان ما بين بدر صيغ من ذهب * وذاك بدرى وبدر صيغ من بهق
ولو سمعت ما قال في القمر بعض اهل الظرف والنظر لم يفتخر به واليه
لم تنظر قيل له انظر الى القمر ما احسنه فقال والله ما انظر اليه لبغضى
فيه قيل ولم ذلك قال لان فيه عيوباً لو كانت في حمار لرد بالميب قيل
وما هي قال ما يصدقه العيان ويشهده الاثر فانه يهدم العمر ويقرب الاجل
ويحل الدين ويوجب كراه المنزل ويقرض الكتان ويغير الالوان ويسخن
الماء ويفسد اللحم ويرث الزكام ويعين السارق ويفضح العاشق الطارق
قال بعضهم اذا نام الانسان في ضوءه احدث في بدنه نوعاً من الاسترخاء
والكسل ويهيج عليه الزكام والصداع وقال ابن المعتز

يا سارق الانوار من شمس الضحى * ما مثل نورك في الدجى منقص
اما ضياء الشمس فيك فناقص * وارى زيادة حرها لم ينقص
لم يظفر التشبيهه منك بطائل * مسطح جهقا كوجه الارض
وقال الاخر

لو اراد الاديب ان يهجو البد * رماه بالخطبة الشعراء
قال يا بدر انت تغدر بالسا * رى وتقرى بزورة الحسناء
كلفنى يا ضء وجهك يحكى * نمشا فوق وجنة برصاء

بمترك الحاق في كل شهر * ترى كالثقاة الحفباء
وقال الاخر في مبيع عليه اخلاق
ترى الثياب من اكتان يلعبها * نور من البدر احيانا فيليبها
فكيف تنكر ان تبلى غلائله * والبدر في كل وقت طالع فيها
وهو مأخوذ من قول الاخر
لا تعجبوا من بلى غلائله * قد زر ازواره على القمر
على انه قد قال بعضهم للوليد بن يزيد في كلام دار بينهما عجب
لمن لم تحرقه الشمس ولم يفرقه المطر كيف لا يشرب الا مصعرا فوالله ما
شرب الناس على احسن من وجه السماء اوسعة الفضاء ورقة الهواء وخضرة
الكلاء وقر الشتاء ويكفيك ذما وهجاء انك معدود من جملة النساء كما
قالت العرب . الشتاء ذكر والصيف انثى . فقام الصيف وقال انظروا ايها
الرجال الى هذا المعجب الخيال والجهول الضال واسمعوا هذا الخيال في
دم البدر والهلال افي المحسوس جدال لقد صدق من قال اذا لم تسخ
فاضع ما شئت وقد صح المثل المشتهر نبح الكلب القمر ويكفي القمر مدح
الله له الذي رفعه واجله وفي تلك المنازل احله اسكنه السماء وخوله وجعل
النجوم عساكره وخوله واقسم به في قوله والقمر اذا اتسق فآيات القمر
ظاهرة كالفلق كم اوضح من طريق وهدى الرفيق الى الرفيق وذكر محبوبا
بمحبوبه وبلغ طالبا غاية مطلوبه . به يشبه كل وجه حسن ويبتثل به في كل
ما يستحسن بسببه تزيد المياه ويكثر الدم الذي هو سبب الحياة وليالي
به تبرد والنسيم عند طلوعه يتردد وبه يصلح الزرع ويحصل النفع المسمع
ما يحكى ان اعرابيا نام ليلة عن جملة فقده فلما طلع القمر وجدته فرجع الى
الله يديه وقال اشهد انك قد اعليته وجعلت السماء بيته ثم نظر الى القمر
فقال ان الله سورك ونورك وعلى البروج دورك واذا شاء فورك ولو شاء
كورك فلا اعلم مزيدا اسأله لك فلئن اهديت الى قلبي سرورا فقد اهدى

الله اليك نوراً ثم انشد يقول

ما ذا اقول وفيك القول ذو خطل * كفيتني فيك ذا التفصيل والجللا
ان قلت لا زلت علوباً فانت كذا * او قلت زانك ربي فهو قد فعلا
وما احسن قول الآخر

وحديقة غناء ينتظم النداء * بفروعها كالبدر في اسلاك
والبدر يشرق من خلال غصونها * مثل الملبج بطل من شباك
وتعرض بنقص الهلال الم تسمع من قال
ولاح لنا الهلال بشرط طوق * على لبات زرقاء اللباس
وقول ابن المعتز

اهلاً بقطر قد اثار هلاله * فالآن فاند الى المدام وبكر
وانظر اليه كزورق من فضة * قد انقلته حمولة من عنبر
وقول الآخر

يامن بغرته الهلال اما ترى * بدر الهلال وقد بدا في المشرق
كظريفة نظرت الى عشاقها * فتنقبت خجلاً بكم ازرق
وقول الآخر

وكؤوس دارت علينا بليل * تحت سقف مرصع بالجبين
وكأرب الهلال مرآة نبر * تنجلي كل ليلة اصبعين
وقول الآخر

هلال شوال ما زالت مطالمه * يرنو اليها الوري من شدة الفرح
كأصبع من نديم قد اشار الى * ساق لطيف يروم الاخذ للقدح
وقول الآخر

ان هلال الفطر لما بدا * مستحسناً في عين الناس
وددت ان التمه عندما * راح يحاكي شفة الكاس

وقول ابن المعتز

زارفي والدجا اصم الحواشي * والثريا في القرب كالعنقود
 وهلال الشتاء طوق عروس * بات يجلي لي في غلائل سود
 وقد اورد الادباء أكثر من سبعين تشبيها للهِلال بأذا القيل والمقال
 ثم انك تزعم ان العرب قالت الشتا ذكر والصيف انثى لابلغك الله الارب
 ما اجهلك بلغة العرب ما انت الا جارف سيل وحاطب ليل لانه يتضمن
 التشنيع عليك فالدم يهدى منك اليك والمدح يهدى الي منك وهو حجة
 عليك لالك لان هذا من باب التشبيه والمبالغة اي ان الصيف كالانثى
 يجامع اللين والرحمة البالغة وذلك كما يقال ولا تشبها الله ارحم من الالدة
 بولدها وكانك نسيت ما قيل ببرد العجوز التي على البلا تحوز ويقال انها
 سبعة ايام نظمها بعضهم بقوله

كسع الشتاء بسبعة غير * بالصن والصنبر والوبر
 وبأمر واخيه مؤتمر * ومعلل وبعطيء الجمر

اخبرني اي يوم فيك يحمد اهو اليوم الاحض الورد المصحى الذي
 يصفو بشماله وتحمر آفاقه او الأزب الملوغ الذي تهب بنكبائه ويكثر
 جهامه وقتامه ولسان الحال يقول

قد اخصر الوجه حتى لو جعلت ضحى * ناراً تجع فوق الوجه ما احترقا
 فقولهم فيك ذكر مع المقابل الذي ذكر وصف بالشدة والقسوة
 والحدة كيف لا واذا جنت عجم الناس عجيبا وضجوا فحجيبا ونو هوا باسم
 من وامسى فيه وأوى واوقد نويرة وبذل طعنيا قال الشاعر

قفانك من ذكرى قيهن وسروال * ودراعة لي قد عفا رسمها البالي
 ولا سيما والبرد وافى بریده * وحالي على ما اعتدت من عمره حالي

وقول الاخر

ان فصل الشتاء منذ فحاج جسم * ي أبدت يانه الاعضاء

فيه يحنى غربي اذ عز * انكسا فيه واحتى الغراء

قال البدر الساري الشيخ عبد الحفيظ القاري

جاء الشتاء الذي مازلت ابغضه * في كل حال من الاحوال في زمي
البرد فيه قوي كالحوبه الاحزان * تكثر والامراض في البدن
الم فيه كثير والرفاق غدوا * والانس ادبروا لاقبال في الحزن
شبهته بعذاب قد اتى وبه * حبس ونار عسى الرحمن يرحمني
فالدلم يجري دواما من يدي ومن * رجلاي يارب كثر اللبس امرضني
فانت عذاب وبلاء وعقاب ولأواء بلفظ فيه الهواء ويستحجر له الماء
وتكثر الانداء وتنحجر الفقراء ويتساقط ورق الشجر ويموت أكثر النباتات
والزهر وتضعف قوى الابدان ويظلم الجو ويكلمح وجه الارض ويهرم وجه
الزمان وتصير الدنيا كأنها عجوز هرمة قد دنا منها الموت وآن وما ظنك
بما يزوي الوجوه وبعمش العينين ويسيل الانوف ويغير الالوان ويقشف
الابدان ويميت كثيرا من الحيوان فكيف في من يوم ارضه كالتقوارير
اللامعة وهواؤه كالزنابير اللاسعة وليل يحول بين الكلب وهريره والاسد
وزئيره والطير وصفيره والماء وخريره قال الشاعر

قد منع الماء من انس * وامكن الجو من الجس

وقال الآخر

وشتاء يحنق الكد * ب فلا يعلو هريره

كلما رام هريرا * زم فاه زمهريره

وهو ماخوذ من قول الآخر

لا ينبج الكلب فيها غير واحدة * حتى يلقي على خيشومه الدنيا
قال الرشيد ما ابلغ بيت في شدة البرد فانشد هذا البيت بعضهم

فقال ابلغ منه

وليلة نحس بصطلي القوس ربيها * واسمهم اللاتي بها يتنبل

فقال حسبك ما بعد هذا شيء، قيل لاعرابي ما اشد البرد قال اذا
اصيحت الارض ندية والسماء نقية والريح شامية . وقيل لآخر فقال اذا
دمعت العينان وقطر المخزان وتلجلج اللسان . وقال الاخر برد يغير الالوان
وينشف الابدان ويحمد الربق في الاشدق والدمع في الاماق وقال
اخر يوم جمد خمره وخمد جمره بثقل فيه الخفيف اذا هجم ويخف الثقيل
اذا هجر نحن فيه بين اطباق البرد ورجم البرد فما نستفيث الا بجر الراح
وسورة الاقداح . ووجد اعرابي البرد فقبل له هذا لكون الشمس في العقرب
فقال لعن الله العقرب فانها مؤذبة في الارض كانت ام في السماء وقال
ابن سميون : البرد بالري رافضي يقول بالرجعة اي متى ذهب رجوع وقيل
لاعرابي يرتعد في يوم شات تحول الى الشمس فقال الشمس تحتاج اليوم
الى قطيفة قال الشاعر

ويوم برد بدأ انفاسه * فغمش الاوجه من قرصها
يوم تود الشمس من برده * لوجرت النار الى قرصها

وقال الشاعر

يوم من الزمهرير مقرور * عليه ثوب الصباء مزرور
كأما حشو جوه ابر * وارضا فرشها فوارير
وشمس حرة مخدرة * ليس لها من ضيائها نور

وقال اخر

جاء الشتاء ومناقر * واصابنا في عيشنا ضر
ضر وفقر نحن بينهما * هذا لعمري ايكم الشر
حبست الناس في البيوت عن الاسباب ونيل الاوطار والاكتساب
وخذلتهم عن الصلاة والعبادة واقامة الجمعة والجماعة

وقال الشاعر

اقبلت يا يوم ببرد اجرد * تفعل بالاجه فعل المبرد

اظل في البيت كمثل المقعد * منقبضاً تحت الكساء الاسود
 لو قيل لي انت امير البلد * فهات للبيعة كف تمعد
 لكنت كالاقطع لم اخرج يدي

وقال الاخر

وليلة نزل البرد البلاد بها * كالقلب اشعر باسا فهو مثلوج
 فان بسطت يداً لم تبسطت حصراً * وان ثقل فبقول فيه تبيج
 فنحن فيها ولم نخرس ذووا خرس * ونحن فيها ولم تفلج مغاليج

وقال الاخر

شتاء تقلص الاشدق منه * وبرد يجعل الولدان شيبا
 وارض نزلق الاقدام فيها * فما نمشي بها الا ديبيا
 قيل لاعرابي في الشتاء اما تصلي قال البرد شديد وما علي كسوة
 اصلي فيها وقال

ان يكسني ربي قميصاً وربطة * اصلي واعبده الى آخر الدهر
 وان لم يكن الا بقايا عباءة * مخزفة مالي على البرد من صبر
 وقال الاخر نحن في الشتاء بين لثق وزلق ودمق : وقال الآخر
 نحن في شتوتنا في فلق * وتماذى شفق في فرق
 ليس يخلو يومنا والليل من * لثق او زلق او دمق
 هبت ريح شديدة فقبل قامت القيامة فقال زبدة الخنث هذه قيامة
 على الريق بلا خروج الدجال ولا دابة الارض ولا طلوع المهدي فلما
 فرغ من كلامه صار الشتاء اصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء ثم قام وقعد
 وانشد وردد وارعد

لو لم تكن لي في القلوب مهابة * لم يطمن الاعداء في ويقده
 كالليث ناهيب حطله الزبي * وعوت لهيبته الكلاب النبح
 برموني شزر العيون لانني * غمست في طلب العلا ونصيحوا

وقد اجبتك عن بعض ذلك وذكرت ثناء الفضلاء على ما هنا لك
ولولا خوف الاطالة في هذه المسالك لفصلت الرد ونورت الحالك وعلى
سبيل الفرض والتنازل للقائل فيعتفر ذلك في جنب فضلي الشامل ان
الحسنات يذهبن السيئات ورحم الله من قال واجاد في انقال

• ما كان احوج ذا النكال الى * عيب يوقيه من العين

ولقد اجاد القائل بما هو الفصل الفاصل

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا ان تعد معائبه
وانما المصيبة العظمى المعائب التي لا تحصى ومن كله عيب في الاسم
والمسمى وهو يتخبط كالاعمى ومن سارت في ذمه الرسائل من كل غني
وسائل فقد كتب بعض الكتاب الى رفيقه كيف لي بالحركة وقد قوى
سلطان الحر وفرش بساط الجمر لاسيا وفيه الهاجرة التي هي كقلب المهجور
والتنور السجور وكتب بعضهم اشعل كل شيء ظله وقام قائم الهاجرة
ورمت الشمس بمجمرات الظهيرة وكتب اخر لامرجأ بالصيف من
ضيف فهو عون على الحيات والعقارب وام الذباب والخنافس وذاخر البق
الذي هو آفة الخلق ثم قال فيه

من كل سائلة الخرطوم طاغية * لا يجيب السجف مسراها ولا الكلال
طاقوا علينا وحر الصيف بطيخنا * حتى اذا انضجت اجسامنا اكلوا
وقد قال بعضهم حر الصيف كحد السيف وقال بعضهم حره يشبه
قلب الصب وينذيب دماغ الضب ومثل بعضهم كيف كان الهواء
البارحة قال مات ولم يكن له نفس وقال آخر سدت الرياح فانسدت طرق
الارواح وقال الشاعر

قد اقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل نسأم الخرا

اما ترى البان باغصانه * قد قلب الفرو الى برا

ولله در القائل

قد هجم الصيف وولى الشتاء * منهزماً تباع آثاره
مبتدعاً يسلب اثوابنا * ويخرج المالك من داره
وقال آخر

حرٌّ وجدرٌ وحرٌّ صدوحرٌّ * اي شيء يكون من ذا امره
قال الآخر

ويوم كان المصطلين بحره * وان لم يكن جمر فعود على الحجر
فلما فرغ من مقاله وقام يجرجر في اذياله قال له الصيف رويداً ومهلاً
فانك لن تحرق الارض ولن تبلغ الجبال طولاً فجميع ما ذكرته من
الاكاذيب المزخرفة والاقاويل المزيفة اما سمعت ما قاله الاعرابي حين قيل
له ما تصنع بالبادية اذا انتصف النهار وانتعل كل شيء ظله فقال وهل
العيش الا ذاك يشي احدنا ميلاً فيرفض عرفاً كأنه الجمان ثم ينصب عصاه
ويلقي عليها كساءه وتقبل عليه الرياح من كل جانب . ايا هذا اسمع مني كلاماً
جزلاً وقولاً فصلاً ودعنا من تلك المبالغة والمجازفة واعرض جواهره على
السيارفة وذوى النظر والعرفان وعند الامتحان بكرم المرء اوبهان

من تخلى بغير ما هو فيه * فضمته شواهد الامتحان
وجرى في العلم جري سكين * خلفته الجياد يوم الرهان

فها انا اقول هذه القضايا المسئلة البرهان التي قد سارت بها الركبان
انا الصيف خفيف المونة جليل المعونة كثير المنفعة قليل المضرة عظيم
المهرة ابو الحب والرياحين ونم بنات البساتين وراحة الفقراء والمساكين
وستر الضعفاء والمتخملين والعون على عبادة رب العالمين طبع الشباب
الذي هو باكورة الحياة بلا ارتياب كما ان الشتاء طبعه طبع الهرم الذي
هو باكورة العدم فانه كما قال الحبيب ابن حبيب نصرت بالصبا . واوتيت
الحكمة في زمن الصبا . بي نفض الجادة ونفض من الفواكه المادة ويزهو

البسر والربط وينصلح مزاج العنب ويقوى قلب اللوز وبلين عطف
التين والموز وينعقد حب الرمان فيقع الصفرا ويسكن الخلقان وتحضب
وجنات التفاح ويذهب عرف السفرجل مع هبوب الرياح وتسود عين
الزيتون وتخلق نيجان النارنج والليمون مواعيدي مفقودة ومواندي ممدودة
الخير موجود في مقامي والرزق مقسوم في ايامي الفقير ينصاع ببله مده
وصاعه والغنى يرتع في ربيع ملكه واقطاعه والوحش تأتي زرافات ووحدانا
والطير تغدو خماسا وتروح بطانا

مصيف له ظل مديد على الورى * ومن حلا طعما وحلل اخلاطا
يعالج انواع الفواكه مبديا * لصحتها حفظا يعجز بقراطا
وبصيفيني نخرا ان زمن صباي هو الربيع صاحب المزايا
والمقام الرفيع قال بعض الحكماء هواء الربيع مورق فتلقوه وهواء الشتاء
محرق فتوقوه فعله في اجسادكم كفعله في اشجاركم وقال بقراط الحكيم من
لم يبتبع بالربيع وازهاره ولم يستمتع ببرد نسيمه فهو فاسد المزاج محتاج
الى العلاج قبل العود واوتاره وكان انما مون يقول اغلظ الناس طبعاً من
لم يكن في زمن الربيع ذا صبوة والله در ابن المعتز حيث قال الارض في
زمن الربيع عروس مخالة في حلق الازهار متوجة باكاليل الاشجار متوشحة
بمناطق الانهار والجو خاطب لها قد جعل يشيل بمخصره البرق ويتكلم
بلسان الدمع وينثر من القطر ابدع نثار اي وتغني الاطيوار ويشدو الهزار
وترقص الغصون وتصفق المياه وتمز العيون ويصطف الليل والنهار
وطائر الفرح بينهما قد طار وضحكت الارض وابتم الأخوان واحمرت
خدود الارض واهتز عطف البان واخضر عجا عذار الريحان ونبه
طرف النرجس الوستان قال الشاعر

ما الدهر الا الربيع المستنير اذا * اتى الربيع اتاك النور والنور
فالارض فيروزيج والجو لؤلؤة * والروض باقوتة والماء بلور

وقال الآخر

ان هذا الربيع شيء عجيب * تضحك الارض من بكاء السماء
ذهب حيثما ذهبنا ودرت * حيث درنا وفضة في الفضاء

وقال الشاعر

سألت الغصن لم تمرى شتاء * وتبدو في المصيف وانت كاسى
فقال لي الربيع على قدوم * خلعت على البشير به لباسى

وقال الآخر

لما زها زهر الربيع بروضة * وغداله فضل بين عليه
قام الحمام له خطيبا بالثنا * وجرى القدير نحرًا بين يديه
فلما سمع كلامه الشتاء انشد مصونا

واصعب ما حاولت تثقيف اعوج * واصعب شيء جاهل متعاقل
هذه قضايا فاسدة القياس واهية الاساس اما سمعت ما هو كالمثل
ان السم في ذلك العسل ولكن خذ مني وحدث عني فان محاسنى كثيرة
وفضائلي شهيرة طول الليل الذي جعله الله سكنا ولياسا للانام وبرد الماء
الذى هو مادة الحياة والقوام وانقطاع الذباب والبعوض وعدم ذوات
السموم من الهوام وانا حبيب الملوك العظام واليف المتنعمين الكرام يطيب
لهم في زماني الاكل والشراب ويجتمع فيه شمل الاجاب ومن ليس له
بي طاقة اغلق من دونه الباب ويستخن الجوف ويطيب العناق ويشتمع فيه
بالملايس والفرش في جميع الافاق ولذلك ضرب المثل بحريم الناعم وهو
حريم ابن عمرو بن مرة بن عوف قيل له الناعم لانه كان يلبس الخلق في
الصيف والجديد في زماني الذي هو ابو الصيف في يظهر فضل الغنى وانا
زمان الراحة والهنا كما ان الصيف زمان انكد والنسا ولذلك قالوا من لم
يغل دماغه صائفا لم تغل قدوره شاتيا كما قيل
وان الذى لم يغل صيفا دماغه * وجدك لا تغلى شتاء قدوره

كذلك مقسوم المعاش في الورى * بسعي ورعي تستبين اموره
 واني مع ذلك كما قال الحبيب ابن حبيب ايامي وجيزة واوقاتي عزيزة
 ومجالسي معمورة بدوي السيادة معمورة بالخير والمير والسعادة تقلها يأتي
 من انواعه بالهجب ومناقلها تسمع بذهب الذهب وراحها تعش الارواح
 وسقاتها يجفونهم السقيفة تفنن العقول الصحاح ان اردتها وجدت مالا
 ممدودا وان زرتها شاهدت لها بنين شهودا

واذا رميت بفضل كاسك في الهوى * عادت عليك من العقيق عقودا
 يا صاحب العودين لاتهملها * حرك لنا عودا وحررق عودا
 ثم انك يا هذا تقفتر بربيعك الذي هو غرس يدي وسور كاسي
 واثري من بعدي كما قال الشاعر

تركت مقدمة المصيف حميدة * وبد الشتاء جديدة لا تكفر
 لولا الذي غرس الشتاء بكفه * فاسى المصيف هشاماً لانشر
 ولذلك ينسب اليه فيقال البرد المستطاب برد الورد وهو برد الربيع
 الذي تقفتر به ايها الوضع فحق لي حينئذ ان افخر بالخريف ذي المقام الشريف
 فانه مقدمة جيشي وايام كهولتي ولذة عيشي في ايامه تجنى الثمار ويتلون
 ورق الاشجار وتصفو المياه والانهار

قال الشاعر

جاء الخريف وعندي من حوائجه * ستع بهن قوام السمع والبصر
 موز ومز ومحبوب ومائدة * ومسمع ومدام طيب ومرى (١)
 فلما سمع كلامه الصيف انشد وقد قوي عزمه واشتد

(١) قال داود في التذكرة: مري من الادوية القديمة التي استفرجها
 الكلدانيون والقبط واجوده المتخذ من دقيق الشعير والفوننج البري
 المعمول صيفاً واطال في منافعه . اه ابو بكر

ومن البلية عدل من لا يرعوي * عن غيه وخطاب من لا يفهم
 يكرر هذا الرجل كلامه ويموه مرامه وقد رددت عليه ذلك والجنته
 الى اضيق المسالك يفتخر هذا الخروف بالحريف لقد خرف وبالغ في
 التخريف يقابل الحريف بالربيع يساوي بين الرفيع والوضيع والخرف والجهين
 والصمجد والنحاس ما هذا الا افتراء ومين ظاهر لجميع الناس وقد قيل ان
 برد الربيع موقق وبرد الحريف موقق وهو كطبع الموت في البرودة واليبس
 يسرع هواؤه في الجسد ويؤذي النفس قال بعضهم

لا يمكن الناس انقاء شره * من اختلاف برده وحره
 تبصره مثل الصبي الارعن * في كثرة التغيير والتلون
 وقال الآخر

لاتأمن من فصل الحريف فانه * مستعذب وهواؤه خطاف
 يسري من الارواح في اجنادها * بلطافة ومن اللطيف يخاف
 وقال الاخر

ولي صاحب كهواء الحريف * مضر وان كان يستعذب
 له منطق كلبالي الشتاء * طويل على برده مسهب
 بذلت له خلُقًا كالربيع * يطيب ومخبره اطيب
 وان كان قلبي به كالمصيف * سموم الموموم به تلب

وها انا ازيدہ بعض احاديث وردت في ذمه عن ابن عباس يرفعه
 ان الملائكة لتفرح بذهاب الشتاء رحمة للساكين وكان صلى الله عليه وسلم
 يشموذ من كلب الشتاء وقد روي انقوا البرد فانه قتل اخاكم ابا الدرداء
 وقال بعض السلف الشتاء عبد الدين وهلاك المسلمين فقال الشتاء وهو
 ملتف ببرده سيجان الله ويجمده بهذي هذا الرجل ولا يدري ولا يدري
 انه لا يدري قد عمل بقول القائل وتلقى عنه تلك المسائل

ان شئت تدعى فقيه قوم * فطول الكرم ثم عظم
 وخذ من الثوب طيلسانا * واعقده فوق كيك واختم
 واجلس مع القوم في جدال * لا بالبخاري ولا بعلم
 بهز عطف ونفض كم * وقول لا لا ولا اسلم
 ثيابهم بيضت رياء * وقلبيهم بالسواد مظلم
 ان وجدوا الوقف ياكلوه * مالوا عن العلم والمعلم
 بأني بالحديث ولا بعزبه الى راويه ولا الى واحد من الكتب المعتمدة
 في تجاربه وحديث انقوا البرد قال السخاوي فيه لا اعرفه فان كان واردا
 فيحتاج الى تأويل فان ابا الدرداء عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم
 دهرا . انتهى ولقصر بابه وعدم اطلاعه جهل قوله صلى الله عليه وسلم
 الشتاء ربيع المؤمن فصرنهاره فصامه وطال ليله فقامه وقوله الصوم في
 الشتاء الغنيمة الباردة وقوله مرحباً بالشاء فيه تنزل الرحمة اما ليله فطول
 للقائم واما نهاره فقصير للصائم وعن قتادة قال لم ينزل عذاب قط من السماء
 على قوم الا عند انسلاخ الشاء ويكفي ما جاء في حثك من الدم قوله
 صلى الله عليه وسلم ابردوا بالظهر فان شدة الحر من فيح جهنم . فقام الصيف
 معبساً وقال محققاً لك وتعساً ما هذا التمر به فيما ترويه تنهي عن الشيء وتأنيه
 ثم انشد

يا ايها الرجل المعام غيره * هلاً لنفسك كان ذا التعلم
 ابداً بنفسك فانها عن غيبا * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
 لانه عن خلق وتأني مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم
 اما الحديث الذي اورده في ذمي فقد ورد نظيره فيك كذلك مما
 يمكن حمله على المجاز في هاتيك المسالك واما الاحاديث التي اوردها سيء
 مدحك ففيها مقال ولم تبلغ درجة الصحة التي يصح بها الاستدلال ولو
 اردت ان اذكر مثلها في حق لطال المجال وما كل ما يعلم يقال وقد

حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء . فقال الشفاء لعنك تعني قوله صلى الله عليه وسلم من صبر على جر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام هكذا ذكره ابو الوليد الازرقى في تاريخ مكة بغير اسناد ثم الزمخشري في آل عمران من تفسيره واورده الدليلي من حديث انس بلفظ تباعدت عنه جهنم مائة عام وثقبت منه الجنة مائة عام فقام الصيف مغضباً وقال واحرناه واحر قلباه ممن قلبه شيم دع عنك هذا الاستهزاء وضياح الوقت سدى وملء الصحيفة بذكر الاحاديث الضعيفة ان اردت المناظرة والجدال بشروطها المعنوية عند الرجال فاخرج الى هذا الميدان في هذا المجال وانا اسمعك من المقال ما هو اشد من وقع النبال وصفع النعال فشمم الشتاء ورفع الاذيال وسار ذات اليمين وذات الشمال وزمجر وسطا وصال وزر زئير الاسد في القنال فكثر اللغظ وكبر الشطط وطال النزال والنزاع وتزايد المقال والدفاع وعلت اصواتهما وارتفعت وارتجت الارض تحتهما وتزعزعت

قال الراوي والرائي للحاسن والمساوي فقامت اليهما واجلستهما وهونت عليهما وقلت لهما اسمعا هذا كما ربكما ما فيه نفعكما هل لكما في الرشد والفلاح والنصر والتجاح قالوا ذلك المطلب والغرض والمأرب فقلت لهما اتركوا المراء والجدال والتعيل والقيل فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في اعلى الجنة ومن تركه وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة وقال ماضل قوم بعد هدى الا واوتوا الجدال وقال ان ابغض الرجال الى الله تعالى الخصم الالذ وقال تعالى بل هم قوم خصمون وقال وكان الانسان اكثر شيء جدلا وقال تعالى ولا جدال في الحج فقالا نعم ذلك الجدال بالباطل والمودي الى القتاتل والناشيء عن الغرض الفاسد وسوء المقاصد اما اذا كان الجدال بالحق والمقصد حسنا واتخذ المجادل طريقا مستحسنا فانه يكون مبيعا فقد قال

تعالى وجادلم بالتالي هي احسن . ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتالي هي احسن
ولولا الجدال لقال من شاء بما شاء في كل حال اما سمعت قول عالم المدينة
الذي ضربت اليه اكباد الابل بلا شك كل واحد يؤخذ من قوله ويترك
الا صاحب هذا القبر الاغم صلى الله عليه وسلم وقول الامام علي كرم
الله وجهه اعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال وقوله

ولست بأمة في الرجال * اسائل هذا وذا ما الخبر

فقلت لها انكما قد خرجت الى الفخر والتفاخر واخيلاء والشتم والسخرية
والاستهزاء وقد قال تعالى فلا تركوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وقال ان الله
لا يحب من كان مختالاً فخوراً وقال لا يبخر قوم من قوم وقال صلى الله
عليه وسلم من ستر مسلماً ستره الله يوم القيمة وحسبك هذا التعنيف واللوم
وكفا كما رد عا وزجراً وحق لك الدمامه ثم اشدهما قول القائل المرشد الكامل

لا بد للكامل من ذلة * تجبره أن ليس بالكامل

ينابري بضحك من جاهل * حتى يرى مضحكة الجاهل

فقالا نستغفر الله مما فرطنا لفرط الغضب وقبح الله اول راي عنده
انتصب ولا عدمتنا فاحسبنا عاقلاً وحكماً حكياً عادلاً وما جرى منا ما جرى
الا على قصد امرين بلا مراة الاول التحدث بنعمة الله بين الوري وكفى
بذلك حمداً وشكراً قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقد جمع بعض
العلماء ترجمته ومزاياه على سبيل التحدث وليقتدي الخلف باثار السلف
والثاني احقاق الحق وابطال الباطل وكشف حال الملبس العاطل وبيان
الدعي بين الافاضل كما هو الواجب على المفاضل المناضل قال في الوهبانية
من كتب السادة الخنفة

من الدين هتك السر عن كل كاذب * وعن مدح ما ليس فيه ويشهر
وقال بعض الفضلاء

القدح ليس بغيبة في ستة * منظم ومعرف وتقدر

ولظهر فسقاً ومستفت ومن * طلب الاطاعة في ازالة منكر
واما احاديث من ستر مسلماً ستره الله يوم القيمة فقال الوزير ابن
هبيرة الحبلي في شرحه المراد به الستر على ذوي الهيات ونحوهم من ليس
معروفاً بالاذى والفساد واما المعروف بذلك فيستحب ان لا يستر عليه
بل ترفع قصته للوالي ان لم يخف من ذلك مفسدة لان الستر على هذا
يطعمه في الابداء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله
وهذا كله في ستر معصية وقعت وانتقضت واما معصية رآه عليها وهو بعد
متلبس بها فيجب المبادرة بانكارها ومنعه منها على من قدر عليه ولا يحل
تاخيرها وان عجز لزمه رفعها لوالي الامر اذا لم يترتب على ذلك مفسدة
واما جرح الرواة والشهود امناء الصدقات والاوقات والايام ونحوهم فيجب
جرحهم عند الحاجة ولا يحل الستر عليهم اذا راي منهم ما بقدرح سيف
اهليتهم وليس هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيح الواجب وهذا يجمع
عليه انتهى . ثم قال لا تريد ان تحكم بيننا وتجمع ذات بيننا . فقلت لها
اننا عندي كخبري رهان وقد حزننا المضاير في حلبة البيان ولست احكم
بينكما بتقديم واحد منكما وكلامكم في بعضكما غير مقبول فان كلام الاقران
بعضهم في بعض لا يعتبر عند الفحول ودا المصاهرة داء عضال ورحم الله
من قال .

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً * ويرى اللوائل التقديم
ان ذاك القديم كان حديثاً * وسبق هذا الحديث قديماً
ولقد اجاد المقاتل .

اولع الناس بامتداح القديم * وبدم الحديث غير الذميم
ليس الا لانهم حسدوا الحديث * بي ورقوا على العظام الروميم
قال الحافظ الذهبي مانصه : كلام الاقران في بعضهم بعضاً لا يعبا
به ولا سيما اذا لاح لك انه لعداوة او لمذهب او لحسد لا ينجو منه الا

من عصمه الله . ما علمت ان عصرا من الاعصار سلم اهله من ذلك سوى
الانبياء عليهم السلام والصديقين فلو شئت لسردت من ذلك كزاريس
انتهى . فقالا لانسلم ان كلام الاقران في بعضهم بعضاً لا يعبأ به علي اطلاقه
وعومومه فانتهبه فانه لا يعرف حال الرجل الا من عاصره ولا يعرف حاله
من بعده الا من اخبار من قارنه واهل العلم هم الذين يعرفون امثالهم
ولا يعرف ذوي الفضل الا ذو الفضل فينبغي اناطة ذلك بمن علم ان
بينهما تنافسا وتحاسدا فيكون ذلك سبباً أكيداً لعدم قبول كلام بعضهم
في بعض لالكونه من الاقران والمعاصرين في الزمان فانه لا يعرف عدالته
ولا جرحه الا من اقرانه اهل فنه وزمانه فقول الذهبي ولا سيما اذا لاح
لك انه لعداوة او لمذهب او لحسدهو الذي ينبغى ان يناط به القبول والرد

قال الراوي فادهشني ثقيريها وعظم علي امرها وخفت من الدخول
في الحكم بينهما والتعرض لها علما بان الحكم لا يرضى الخصمين ولا يجمع
ذات البين ورحم الله القائل

ان نصف الناس اعداء لمن * ولي الاحكام هذا ان عدل
وعلما بانى لست اهلاً لذلك ولا السير في هاتيك المسالك فلا تخفى
صعوبة امر الجرح والتعديل واقامة البرهان على التفضيل والترجيح على
التفصيل مع نقض ما اورده كل منهما من دليل وقال وقيل مما يجبر
عقل النبيل فرايت المخلص من هذا السبيل ان قلت لها هل ادلكما
علي حكم عادل وحكيم فاضل يحكم بينكما بالحق ولا يشطط ولا يفرط ولا
يفرط ففرحا وقالا جميعاً من هو لازلنا رفيعا فقلت ذاك عين الاعيان
وزين الزمان رجل الدنيا وصاحب الهمة العليا رب المرؤة والوفاء والشهامة
والصفا طرفة الطرائف كريم الشائلك كعبة الطائف في حرم الفضائل
زينة الحجاز ونهامة حفصة مولانا العلامة الشيخ عبد الحفيظ القاري

لا زالت نسخة شئائه عمدة القاري

لانسال الله الا ان يدوم لنا * لان تزيد معاليه فقد كملت
فقالا هل تحفظ شيئاً من شعره يدل على جلالة قدره فقلت لهما
عندي منه شيء كثير ومن ذلك قوله مذيلاً على بيت الشريف عبود
بطلب امير مكة المرحوم سيدنا الشريف عبد الله بن عون رحمه الله

خطرت تميس وتنثني * ما بين شبرة والعقيق

هيفاء در شفاها * في وسط حق من عقيق

في روضة ازهارها * وردٌ وآس مع شقيق

تحكي بها وجناتها * ما في الملاح لها شقيق

العصن منها يجتني * في ظل تفاح وريق

كل المنا في ثغرها * شهد وعناب وريق

السيف من الحاظها * والريح من قد رشيق

ترمي لواحظ سهمها * فتصيب في قلب رشيق

فالردف تحت الحصريا * حبي ثقيل في رقيق

والغانيات جعلتني * رقا وما كنت رقيق

ومن ذلك قوله بنشطيري له بطايه

خطرت فصيرت انفراد رهيناً * وبدت فصيرت العيون عيوناً

وسطت بنخجر لحظها وقوامها * ورنّت فابدت من هواي كينا

حورية ابدى تبسمها لنا * دررا وياقوتنا وخر سينا

سمطين من درر الثنا بانظمت * عقداً تحكم في النظام ثنا

اخفت سناشمس الضحى بفدائر * سدت كليل قد تناول فينا

شمس تغيب بليلها في صبيها * والفرق اسمى البدر منه دفينا

لو ان بوسفت قد راى اوصافها * اضحى حفيظ ودادها وامينا

لوعاملته بهجرتها وصدودها * امسى بها طول الزمان حزينا
 او ان يعقوباً رآها مرة * لحت محبة يوسف وبينا
 لواسعته بوصولها ورضاها * زال العمى عنه وكف حيننا
 ولما نظم ادب الحجاز ذو الفضل الممتاز الشيخ عثمان الراضي
 المعنى القديم الفارسي بقوله

لا تعجبوا ان احرقت مهجتي * من نظرة غيت الحسا
 فانما عيني بلورة * قد قابلت من وجهها الشمس
 قال ذلك المفضل

ياسائلي عن لهيب القلب كيف اتى * والقلب في شبح الاضلاع قد حجبنا
 فقلت صدرى كبور بنم على * فلي فقابل شمس الخلد قالتها
 فرقصا من ذلك وطربا وكانما خمرة شربا وقالوا نغديه بنفوسنا ونجعل
 حكمه تاج رؤسنا فأين مقره وماواه ومرته وسكناه فقلت لها الطائف
 المأنوس زهرة النفوس فتأهبا للسير من اقرب طريق ليظنيا بهذا الحكم
 الرفيق وصاحب الطبع الرقيق فتمت لتوديعها والدعاء لها واوصيتها
 بالتأدب مع جنابه اذا حملا الرحل برحابه ووفقا ببابه وان يستمسكا بركابه
 وقلت هنا كما الله بصوابه في تقريره وجوابه وجمعنا به

آمين آمين لا ارضى بواحدة * حتى اضيف اليها الف آمينا
 ثم ظهر لي في خلال كلامها . ولاح لي من الاستشهاد بكلامه في
 مقامها . انهما يعرفانه . وقد ترددنا على مكانه . فقلت لها كيف تجهلان
 ذلك المفرد العلم . ومن هو كئار على علم . فصحكا وقالوا قد استقصينا بحثنا
 وسوآلاً تلذذاً بذكر ذلك الحبيب وهاتيك السجايا وعدوبة حديثه
 وتذكر تلك المزايا

اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

كيف وهو قد اعدّ في داره لنا حلتين . وضيافة في كلا الرحلتين .
 فنحن له كالسمع والبصر . وكالشمس والقمر . لكل واحد منا معه وقت
 معلوم . ليس له في غيره هجوم . قال الراوي فانحسم الخصام . وانقطع
 الكلام . وانصرفا صرف الله قلوبهما . وكفانا شرهما . وقد استيقظت
 لسان الحال بقول . نادها على ما فرط من الفضول

افرح بالبرد اذا ما انقضى * وفي زمان الحرّ بالحرّ
 وفي انقضاء البرد والحرّ لو * عقلت امرى بنقضى عمري
 فاستغفر الله مما زلت به القدم . او طفي فيه القلم . واسأله ان
 يحسن لنا الختام . وان يعفو عن الآثام . واقدم ذلك هدية الى المشار
 اليه اعلاه . وانشده ادام الباري علاه

هدية المرء على قدره * والفضل ان يقبلها السيد
 فالعين مع عظم مقدارها * تقبل ما يهدي لها المرود
 وقول الآخر

ان تمام السرور للمرء ان * باكل من طيبات غرس يده
 وان يغني بشعره وبلي * خدمته من يجب من ولده

خاتمة

(في مدح الشيء وذمه)

لا ينبغي ان الكمال لله ذي الجلال وفي كل شيء ما يمدح وبدم لان
 المصلحة في ابتداء امر الدنيا الى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر والضرر
 بالنافع والمكروه بالمحبوب ولو كان الشر صرفاً هلك الخلق ولو كان الخير محضاً
 سقطت المحنة ونقطعت اسباب الفكرة ومتى بطل التحير وذهب التمييز لم
 يكن صبر على مكروه ولا شكر على محبوب ولا تعامل في بيان ولا تنافس
 في درجة كما افاده بعضهم . قال ابو عثمان الجاحظ : العربي يعاف الشيء

ويهجو به غيره فان ابتلي به فخر به ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجى
 به غيره فانهم هذا فان الناس يغلطون على العرب ويرعمون انهم يمدحون
 بالشيء الذي يهجون به وهذا باطل وليس شيء الا وله وجهان فاذا مدحوا
 ذكروا احسن الوجهين واذا ذموا ذكروا اقبج الوجهين . قال ابن رشيق
 اكثر ما تجري هذه المادح والمذام على جهة المناقفة لا على جهة المناصفة
 ومن باب المسانعة لا من باب المشاحة والا فالشيء لا يوافق ضده
 فيكون الحسن قبيحاً في حالة واحدة والمدح ذماً لمعنى واحد لكن لكل شيء
 كما ذكر الجاحظ مساو وعحاسن انتهى . وقد تفنن البلغاء في ذلك فابرزوا
 المعاني الدقيقة في الالفاظ الرقيقة مما يدل على الذوق السليم والطبع
 المستقيم ويسمى عند اهل البديع نوع المغايرة والتغاير وسماه بعضهم بالتلطف
 قالوا هو ان يبلطف الناظم او الناثر في التوصل الى مدح مذموم او ذم
 ممدوح سواء كان هو الذي ذمه او مدحه من قبل نفسه او غيره وقد
 اشتملت هذه المسامرة فيه على فصول جمّة وانواع مهمّة ومن ذلك ما فعل
 عمرو بن الاهتم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استشهده
 الزبرقان بن بدر على ما ادعاه من الشرف في قومه قال عمرو اجل يا رسول
 الله انه مانع حوزته مطاع في انديته شديد العارضة فقال الزبرقان : اما
 والله لقد علم اكثر مما قال ولكن حسدني شرفي فقال عمرو اما وقد قال
 ما قال فوالله ما علمته الا ضيق العطن زمن المرؤة لثيم الخلال حديث الغني
 فراى الكراهة في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال
 يا رسول الله رضيت فقلت احسن ما علمت وغضبت فقلت اقبج ما علمت
 وما كذبت في الاولى ولقد صدقت في الثانية فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة ويروى ان عيسى عليه
 السلام لم يعب شيئاً قط فريوماً بكلب ميت فقال اصحابه ما اتن ريمه
 فقال عيسى عليه السلام ما احسن بياض اسنانه وقالت للحسين بن منذر

امرأة كيف سدت وانت ذميت بخيل فقال لاني سدبت الرأي شديد
 الاقدام . وقال مسلمة بن عبد الملك لاجيه هشام كيف تطمع في الخلافة
 وانت بخيل وانت جبان فقال لاني حلیم عفيف فسلم لعائبه ما ادعاه
 من مساويه وذكر من تحاسنه ما لم ينزاع فيه . سعد خالد بن عبد الله
 القسري منبر مكة يوم الجمعة وهو امير للوليد بن عبد الملك بن مروان فاثني
 على الحجاج خيرا فلما كانت الجمعة الثانية وقد مات الوليد ورد عليه كتاب
 سليمان يامر به بقتل الحجاج وذكر عيوبه واظهار البراءة منه فصعد المنبر
 فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان ابليس كان يظهر من طاعة الله عز وجل
 ما كانت الملائكة ترى له به عليهم فضلا وكان الله قد علم من غشه ما خفي
 عن الملائكة فلما اراد الله فضيخته ابتلاه بالسجود لآدم فظهر لهم ما كان يخفيه
 عنهم فلعنوه وان الحجاج كان يظهر من طاعة امير المؤمنين ما كنا نرى له به
 فضلا وكان الله قد اطعم امير المؤمنين من غله وغشه على ما خفي عنا فلما اراد
 فضيخته اجري ذلك على يد امير المؤمنين فالعنوه لعنه الله ثم نزل . ومروان غيلان
 ابن خراشة الضبي مع عبد الله بن عامر بنهرام عبد الله الذي شق البصرة
 ويعرف بنهر عامر فقال عبد الله ما اصلح هذا النهر لاهل هذا المصر
 فقال غيلان اجل والله ايها الامير ينعلم العوم فيه صبيانهم ويكون
 لسقائهم ولسيل مياههم ويأتيهم بمرتهم فلما عزل عبد الله وولي زياد
 وكان مولعا برفع اثار عبد الله واراد طم هذا النهر فلم يمكنه لفرط منافع الناس
 له فركب يوما ومعه غيلان على شط ذلك النهر فقال له زياد ما اضر
 هذا النهر لاهل هذا المصر فقال اجل والله ايها الامير تنزمته دورهم
 وتفرق فيه صبيانهم ويكثر لاجله بعوضهم فعجب الناس من تصرفه
 وكان العباس بن علي عم المنصور ياخذ انكاس بيده ثم يقول اما المال
 فتيلمين واما المروة فتخلعين واما الدين فتفسدين و بسكت ساعة ثم يقول

اما النفس فتمسحين واما الهن فتطردن اقتراكن عني تفلتين ثم يشرها
 وشكا ابو العيناه حاله الى عبد الله بن سليمان فقال اليس قد كتبنا
 لك الى ابراهيم بن الدبر قال كتبنا الى رجل قد حصر من همته طول
 الفقر وذل الاسر ومعاناة محن الدهر فاخفت في طلبتي قال انت اخترته
 قال وما علي اعز الله الامير في ذلك قد اختار موسى قومه سبعين
 رجلا ودا كان منهم رشيد واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن
 ابي سرح كاتباً فرجع الى المشركين مرتداً واختار علي رضي الله عنه
 ابا موسى حكماً فحكم عليه ونقل ابن معصوم عن الشريف المرتضى
 قال حكى ان ابا النظام جاء به وهو حدث الى الخليل بن احمد يعلمه
 فقال له الخليل يوماً يمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف لي هذه
 الزجاجة فقال بمدح ام بدم فقال بمدح قال نعم تريك القذى ولا تقبل
 الاذى ولا تستر ماورى قال فذمها قال سريع كسرهما بطي جبرها
 قال فصف هذه النخلة واوماً الى نخلة في داره قال بمدح ام بدم قال بمدح
 قال في حال مجتناها باسقى متبادا ناضر اعلاها قال فذمها قال هي صعبة المرتضى
 بعيدة الجنى محفوفة بالاذى فقال الخليل يا بني نحن الى التعلم منك
 احوج قال السيد المرتضى وهذه بلاغة من النظام حسنة لان البلاغة
 هي وصف الشئ ذماً او مدحاً باقصى ما يقال فيه انتهى وقد ذم الامام
 علي كرم الله وجهه الدنيا كغيره فقال ما اصف من دار اولها عنا
 واخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها فتن
 ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاته ومن قعد عنها واتته ومن ابصرها
 بصرته ومن ابصر اليها ابصرته اعتمته وقال المامون لو نطقت الدنيا ما وصفت
 نفسها باحسن من قول ابي نواس
 وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب في المالكين عريق
 اذا امتحن الدنيا لبيب تكشف * له عن عدو في ثياب صديق

ومدحها الامام علي رضي الله عنه وقد سمع رجلا يذمها
فقال ايها الذمام للدينا المغتر بغرورها يم تدمها انت المحجوم عليها
ام هي المحجومة عليك متى اشتبهتكم ام متى غرتك ابصارع آباءك من البلا
ابضاح امهاتك تحت الثرى كم علت ولديك وكم مرضت والديك
تبغي لم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء لم ينفع احدهم اشفاقك ولم
تسعف عنه بطلبتك ولم تدفع عنهم بقوتك قد مثلت لك بهم الدينا
نفسك وبصرعهم مصرعك ان الدينا دار صدق لمن صدقها ودار
عاقبة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها
مسجد احباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحى الله ومقبر اولياء الله
اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذت بينها
ونادت بفراقها ونعت نفسها واهلها فثلث لهم يلائها البلا وشوقتهم
بسرورها الى السرور راحت بعافية وابتكرت بفضيحة ترغيباً وترهيباً وتخويفاً
وتحذيراً فذمها رجال غداة الندامة وحدها اخرون يوم القيمة ذكرتهم
الدينا فذكروا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فانعظوا انتهى

وقد نظر ابن ابي الاصبع معاني هذه الخطبة وذكره ابن حجة
قال ابن معصوم ولعبد الله بن المعتز رسالة يمدح فيها الدينا هذا فيها
حذو هذه الخطبة واين الثريا من الثرى ومطلع سهيل من مواقع السيل
ثم ذكر شيئاً منها والارض تفاخر السما بما ذكر ولل امام المجل احمد
ابن حنبل

فنتعت من الدينا بلقمة بأس * ولبس عباء لا اريد سواها
لا في رايت الدهر ليس بدائم * ودهرى وعمري فانيان كلاهما

وكان رجاء اذا كلمه من لا يسمعه قال له ارفع صوتك فان باذني
بعض ما يروحك وتنسب هذه النادرة الى الناصر الاطروش صاحب طبرستان

وكان من ذكاء القلب وجوده الحس بحيث يقطن بكل ما يكتب بالاصبع
على يده فيكتفي بذلك عن السماع فيجيب عنه ومدح ظريف ابن
سواده عمرو بن هداث وكان ابرص فلما انتهى الى قوله
ابرص فياض اليدين اكلف * والبرص اندى بالهي واعرف
صاح به الناس وقالوا قطع الله لسانك فقال عمرو مه البرص من
مفاخر العرب اما سمعتم قول ابن حبناء

لا تحسبن يياضي في منقصة * ان اللاميم في اقربها بلق
او ما سمعتم قول ابن المشتهر

ايستحني زيد بان كت ابرصا * وكل كرم لا ابا لك ابرص
ولما شاع البرص في بلعاء ابن قيس قيل له ما هذا يا بلعاء قال سيف
الله جلاه وانظر قول اهل المعاني في مجدّر كسلحة تقرتها الديكة وقول
ابن المعتز فيه ونسبه بعضهم لغيره في معنى جدر

واهيف جدر لما استوى فزاده حسنا فزالتم موموم
كأنا غنا لشمس الضحى * فنقطته طربا بالنجوم
وقد نظمت المعنى الاول بزيادة فقلت

ومجدّر كسلحة * قد تقرتها الديكة

او ارق في شكله * منقط كالسمكة

وقد كان ابن الرومي ممن يخالف الناس ويعكس القياس فيدم
الحسن ويمدح القبيح وهو من غرائب الوجود في ذلك مجا الورد
لانه كان يزكّم من رائحته فقال

وقائل لم هجوت الورد قلت له من شومه عند لقياه ومن سخطه
كانه سرم بغل حين اخرجه * عند البراز و باقي الروث في وسطه

واين هذا التشبيه القبيح من قول الاخر المليح

كانه وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

وقد قال فيه بعضهم

الورد عندى محل * لانه لا ميل

كل الرياحين جند * وهو الامير الاجل

ووصف البحري يوم الفراق بالقصر وقد اجمع الناس على طوله فقال

واقدر تأملت الفراق فلم اجد * يوم الفراق على امرء بطويل

قصرت مسافته على متزود * منه لوهن صباية وغليل

كذا قاله اهل البديع ثم رايت في الاغاني في الجزء الثاني في اخبار

ابن ميادة ما نصه : صوت اى من شعره

فلا انسى ما الاشياء لا انس قولها * وادمعها يذرين حشو المكاحل

تمتع بهذا اليوم القصير فانه * رهيب بايام الدهور الاطاول

انتهى فكان البحري اخذه من هذا ثم رايت في عنوان المرقصات

والمطربات نسبة هذا البيتين الاخيرين للوماح بن ازد وهو من المخضرمين

ثم رايتها في الحماسة منسوبين لابن ميادة قال الصفدي والحريري انما

فاق على من سواه بما اتى به في مقاماته من مدح الشيء وذمه كما فعل في المقامة

الدينارية والتي فاضل فيها بين كتاب الانشا والحساب والتي ذكر فيها البكر

والثيب والزواج والعزبة وغير ذلك وهذا هو البلاغة والقدرة على التلاعب

في الكلام وصحة التخيل والذوق انتهى اقول وبما ينظم في سلك هذا النوع

تخاصم ابي الاسود الدثلي مع زوجته عند معاوية وقد ذكرها الشريشي

في شرح المقامات قال واظن ان الحريري صنع تخاصم ابي زيد مع

زوجته على ذلك اه وكذلك مجادلة النعمان بن المنذر مع كسرى في ذم

العرب وهي شهيرة وكذلك مفاصلة الغنى الشاكر والفقير الصابر وقد مدح

ابو عثمان الجاحظ انواع العلوم وذمها باعيانها معربا عن قدرته على الكلام

وبعد شاوه في البلاغة وللمحافظ الذهبي رسالة في زغل العلوم وفي الخاطر جمع

رسالة فيما قيل في الكتب من ذلك وغيره بلغ الله منه الامل قال الصفدي

وقد وضع بعضهم كتاباً في المفاضلة بين الورد والزرخس لآب الشعراء
اولعوا بذلك فاطالوا واطابوا والمفاضلة بينهما ممكنة كما صنف الفضلاء
مفاخرة السيف والقلم ومفاخرة الدرهم والدينار ومفاخرة البخل والكرم
ومفاخرة مصر والشام ومفاخرة الشرق والغرب ومفاخرة العرب
والعجم ومفاخرة النظم والنثر ومفاخرة الجوارس والمردان اذ كل
ذلك يمكن فيه الاتيان بالحجة للجانبين واما مفاخرة المسك
والرماد فما للعقل في ذلك مجال وما عسى البليغ ان يقول في الرماد
اذا فاخر المسك . وللجاحظ في ذلك رسالة بديعة انتهى . قال في كشف
الظنون المفاخرة بين دمشق والقاهرة للسخاوي وللقاضي شمس الدين
محمد بن احمد بساطي المتوفي سنة ٨٤٣ مفاخرة السيف والرمح لعلاء الدين
علي بن محمد السعدي المتوفي سنة ٧١٧ مفاخرة السيف والقلم لابن حفص
احمد بن محمد بن احمد الكاتب الاندلسي وكان حياً بعد سنة ٤٢٠ وهو
اول من سبق اليه القول بالاندلس . مفاخرة العلم والسيف والدينار لعلي
ابن هبة الله بن ما كولا . مفاخرة الحرمين ومفاضلة المخلصين للإمام نورالدين
علي بن يوسف الزرندى الانصارى مؤلف مختصر مناظرة الشمس والقمر
تواجه مسعود القمي وله مناظرة السيف والقلم . مناظرة اهل السنة والرافض
لابي الحسن يوسف الطفيلي مناظرات في الاصول مناظرات الانسان
انتهى وذكر ايضاً مقامات السيوطي في مفاخرة الرياحين والازهار
وانواع الطيب وبعض الفواكه وانواع النقل وانواع الجواهر وقد رابتها
وكذا مفاخرة الحرمين المذكورة في الكشف في تزهة الجليس وفيها ايضاً
المقامة المسماة مذاكرة ذوى الراحة والعناء في المفاخرة بين الفقر والغنى للسيد
محمد بن علي بن حيدر الموسوى وقال في الكشف زهر الجنان في مناظرة
القنديل والشمعدان رسالة بليغة من انشاء البارح تاج الدين عبد الباقي
ابن عبد الحميد السخاوي ذكرها النويرى بتامها انتهى ورابت مفاخرة السيف

والقلم لجمال الدين بن نباته في خزانة الادب لابن حجة في نوع المفاخره
وكذا للشيخ ابن الوردى مفاخرة صغيرة بينهما وكذا مفاخرة النرجس
والورد المسماة بالجوهر الفرد لابي الحسن علي بن محمد المارد بنى خدم بها
قاضي القضاة شهاب الدين احمد بن كشك وقد ذكرها في الكشف
ايضاً وهي لطيفة ذكرها في نفحة اليمن وكذا ذكر فيها مناظرة النجم والطبيب
المسماة منية اللبيب للعلامة الاديب محمد مؤمن ابن الحاج محمد قاسم
الجزائرى وقد رايت ايضاً مفاخرة الشمس والقمر ومفاخرة الاعمى والبصير
وما عرفت مؤلفهما واول الاولى الحمد لله الذي اشرق شموس الاداب
سماه المعاني والبيان الخ واول الثانية الحمد لله الذي نور البصائر بقدرته
وفتق عن زهر الاداب بحكمته وقد رايت ايضاً مفاخرة السفر والاقامة وهي
كاسمها ابيهى مقامه لأديب الشام العلامة الهمام الشيخ محمد بن محمد
المبارك الجزائرى وبلغنى انه طبع بالشام مفاخرة الارض والسماه وكذا مفاخرة
الماء والهوا. وما الف في هذا النوع كتاب لابن رشيق وكتاب المحاسن
والمساوى للشيخ ابراهيم بن محمد البيهقي وكتاب اللطائف والظرائف للثعالبي
وكذا كتاب اليواقيت في المواقيت له ايضاً وكتاب المحاسن والاضداد
لابي عثمان الجاحظ المتوفي سنة ٢٥٥ كما في الكشف ويقال ان الجاحظ
مطالب العرب ولم اره في ترجمته انما ذكر في الاغانى كتاب الثالث
لغيره ولا يستبعد ذلك ممن يفاخر بين المسك والرماد والله يقول ختامه
مسك والله اعلم * يقول العبد الاقل هذا جهد المقل وزهد المخل مع توزيع
القلب في كل محل كما قيل

مشئت القلب في شام وفي يمن * وفي العجماز وفي اطراف بغداد
وليعلم اني لم اصرح باسماء اصحاب الاشعار في هذه المسامرة الا اهل
العصر ليحصل التمييز والتنويه باهل مصر والا عبد الله بن المعتز الخليفة
العباسي طود الفضل الراسي فانه مؤسس البديع وهذه الصناعات وامام

الفن وشيخ الجماعه وكلام الملوك ملوك الكلام وقال المبرد لا يكمل ظرف
الرجل حتى يقرأ بحرف ابي عمرو ويتفقه على مذهب الشافعي ويروي شعر
ابن المعتز واني اقول كما قال الشيخ مرعي الحنبلي
لئن قلد الناس الأئمة اني * لفي مذهب الخبر بن حنبل راغب
اقلد فتواه واعشق قوله * وللناس فيما يمسون مذاهب

قال ذلك بضمه ورقمه بقلمه العبد الحقير ابو بكر بن محمد عارف خوفير
الكتبي بمكة في باب السلام عنى عنه الملك السلام وكان تحرير
ذلك في غاية جمادى الآخرة من عام الف وثلاثمائة
وستة عشر من هجرة خير البشر صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب
العالمين آمين



هذه محاكاة الفاضل الاديب العلامة الشيخ

عبد الحفيظ القاري

بسم الله الرحمن الرحيم ❦ ❦

حمداً لمن خلق الزمان بالصنع البديع . وقسمه الى صيف وخريف
 وشتاء وربيع . واودع في كل فصل حكمه . وجعل في اختلافها صلاحاً
 للزروع ورحمة . ولتنوع الانساني صحة ونعمه . والصلاة والسلام على من
 اوضح معاني الاختلاف . ومدح كل فصل بما فيه من المنافع وبين الخلاف
 وعلى آله الذين اشرفت معارفهم على الخلق . وبنوا منهاج الهداية الى
 الى معرفة الحق . واصحابه الذين نشروا الايمان بتوسيع الممالك . ونشروا
 درر العلوم في تلك الامم وامنوا المسالك . والتابعين لافعالهم المحررين
 بتحقيق ما هنالك . وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين . والحمد لله رب
 العالمين (اما بعد) فان محرر هذه المقامة الفريدة . والمفاخرة التي هي بين
 اثراها وحيدته . هو الفاضل الذي شهد الزمان بفضله . العالم الذي اقرت
 الاقران بعلمه وتبله . الذي ان اشأ خضعت لبلاغته الاقلام . او نظم
 كان عقداً في نحر البحترى وابتى تمام . وخجل من رقة نظمه القاصي الفاضل
 والنظام واقراً بانسجام لفظه التلعفري وابن بسام . حسن ظنه بالعاجز .
 واننى ممن يبارز . وطلب منى فصل الحكومة بين الشتاء والصيف . وهذا
 امر خطر كالوقوف على صراط احد من السيف . ولكن اهتثال امره الكريم
 اوجب حمل العبء الجسيم . وبينما افكر في امر خطير . وتقدم وتأخير .
 اذ دخل الشتاء والصيف على . ووقفنا بالادب بين يدي . وقوف الخصمين
 اللدنيين . او الاخوين المتباغضين . وكل لا ينظر الى خصمه الا شزراً .
 ويقول ما اوردت من بحر فضلى الا قطراً . وطلبا الحكم بينهما بالرفق .

كما اشار عليهما رب اللطافة والحدق . فقابلتهما بالعظيم والاجلال .
 وقلت المحاكمة بينكما في الاستقبال . ولكن اسمعا هذه المقالة مني . وخذا
 هذه النصيحة عني . كيف احكم لاحدكما على الاخر . ولكل منكما مفاخر
 ومنافع الانسان وما أثر . انما في الزمان كالعينين في الراس . وهل يرضى
 بذهاب احدها احد من الناس . وما ارا كما للزمان الا كركبتي البعير .
 التي يتحرك بهما في البروك والمسير . ها انما قد رضعنا در الغام . ولم
 نقدرنا على النظام عنه ايام . جاء البرد والمطر في ايام الشتاء المنيع .
 وتمت الاشجار وظهر النوار باعتدال هواء الربيع . ونضجت الفواكه بحرارة
 الصيف وسمومه . وشرابها من حميمه ويحمومه . وتقلصت الثمار من هيس
 هواء الخريف . وذوت الرياض وسقطت الاوراق من الريح العنيف واذا
 كانت الفصول لا تعمل مقتضاها . بما اودعه فيها المدير العلام وبراهها .
 لتغير هواء البلاد وما صحت لفساده الاجساد . وما طابت الفواكه
 والمزروعات . وللعق سيجانه في تنقل الفصول آيات واي آيات
 فالبرد الشديد عند اهل البلاد الباردة فائدة واي فائدة . به تندفع
 الافات عن الاشجار والارض . ويظهر من المزروعات كل شيء غرض .
 ولولا تجمد الثلوج في الديار الرومية وما ضاهاها . لبيست اشجارهم
 وزروعهم ولم تر بارضهم مياهها . وعبروا على الثلج بالبركة النازله .
 والرحمة الشاملة . حتى اوردوا فيه مثالا كافي . الشتاء الدافي كالصديق الجافي
 والصيف عند اهل بلاد الحارة له منافع . اتفقت على حسنه اهل العقول
 والطبائع . به تتم صحة اهل تلك الجهات . وترتفع بشدة الحرارة كثرة
 الرطوبات . وينضج بها شجر النخل وجميع الثمار . التي لا تنبت الا في تلك
 الديار . وقد قيل الشتاء والصيف كفتا ميزان . اذا فسد احدهما فسد
 الآخر بلا نكران . فكيف يطلب احدكما الفل على اخيه الذي يوازنه

وبضاهيه . وهو لا يقوم الا بمعاونته . ولا ينتصر الا بمساعدته ولا يفتخر
الا بمجاسته ولا ينفق الا من معادنه * فلما سمعنا منى هذه المقالة . وظهر حسنها
لديهما ظهور الغزاة . رضخنا عن المفاخرة الى الصلح وتركا بينهما العناد
والشع فقلت لهما الصلح خير ولا عار فيه على احدكما ولا ضرر فقلت في الحال
مقسماً ومخاطرها مطيباً ومتمماً

تفاخر الصيف والشتاء * وصار كل له هواء
فللشتاء خير وبر * والبذر والزرع والعتاء
وللصيف الزهور نجر * والانس والنقل والهناء
فافرقا عن تراض وعن * رصين عفوله صفاء

فلما سمعنا هذه الايات قالوا ما فات مات وانشأت هذه الايات
مادحاً الموءلف سلمه الله من الآفات

ايا من رقى اوج العلاء بكأله * وفاح الى الجوزاء عطر مقاله
واخفى نجوماً قد نجلن لنظمه * وقلن بلى ما الزهر تزهو كقأله
هو العالم المفضل من حسنت له * خلائق لطف جمعت بكأله
له الراية البيضاء في كل محفل * وفي العلم والتعليم جل جماله
حوى كل علم فهو فيه مقدم * ومن رام يحكى فهو كلالا وآله
بحزم وعزم نال مجدا ورفعة * ونعجز ان قلنا نجبي بناله
فله ما ابدى مفاخرة الشتا * لصيف وهل من يقتدى بفعاله
يقدم برهات الشتاء بحكمة * ويعقبه بالصيف كالشواله
فيظهر مغاوباً ويرجع غالباً * بتجبير اقوال بدت بمجداله
فن كابين خوقير ابو بكر من غدا * اماماً لتأليف وذا من نواله
يقربفضل كل من شام علمه * ولولا العدا ضاعت بقايا خصاله
حميد السجاي والمزايبا طبيعة * لذا كل من والاه بدرى بحاله

انيس خليق ليس بالنفس مجيبا * صدوق وفي في ابتدا وماآه
 والحمد لله على التمام والصلاة والسلام على افضل الانام نطق
 هذا الصلح والتقوير العاجز الحقير راجي رحمة ربه
 البارى عبد الحفيظ بن عثمان القارى غفر الله ذنبه
 وستر عيبه وفرج كربه امين

صورة تقريب الاديب الامام العلامة الهام

الشيخ عبد الغني اللبدي النابلسي

الحمد لله الذي اطلع شمس الادب من ديار تهامة فكان ذلك اكبر
 آية على فضل اهلها واعظم علامه والصابوة والسلام على سيدنا محمد الذي
 كانت تظله الغمامه وعلى اله واصحابه الخائزين قصبات السبق في مضار
 الاستقامه اما بعد فقد من الله تعالى على في هذا العام السادس عشر
 بعد الثلاثمائة والالف من هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام بزيارة
 بيت الله الحرام وشهود المشاعر العظام فاجتمعت بصاحبنا الاديب والعلامة
 الارب ذى الراى الصائب والفهم الثاقب الفاضل التحرير الشيخ ابي بكر
 ابن محمد خوقير القاطن في ربوع هذا البلد الامين والمعدود من اعيان
 ادباء وفضلاء ساكبينها العرائين فاطلعتني حفظه الله تعالى على هذا التأليف
 النفيس الذي اذعن لفضله المرؤس والرئيس في المفاخرة بين الشتاء والصيف
 بكلام لا شطط فيه ولا حيف فقد سلك فيه مسلكا وسطا مع اني لم اجد
 له فيه فرطا بل هو مؤلف بديع مرصع بالجواهر النفيس اتم ترصيع فن
 تأمله وجد فضله على جانب عظيم من الترجيح غنيا عن الاطباب والاطراء
 في مقام المديح فلا يزينه مدح امثالي ولا يشينه قول قالى وبالجملة فهو
 كشادن حارت في او صافه العشاق واشتغلت بالتطلع الى شمائله احداق

الآفاق ولا سيما وقد تحلى بيده بعقد الدر الذي نظمه المحكم الهمام العلامة
 اللودعي الالمى المقدام ذو القدم الراسخ في جميع العلوم والمقام الشاخص في
 معرفة المنطوق والمفهوم ذى الآداب الشهيرة والفضل السارى الشيخ
 عبد الحفيظ عثمان القاري متعنى الله بحياتهما واعاد علي من بركاتهما
 وارجو ان يمنحاني بصالح دعواتهما وان ينفعاني بجميل توجهاتهما فاني لذلك
 فقير وكل منهما بفعل الخير جدير قاله بغمه ورقمه بقله الفقير
 اليه تعالى عبد الغنى اللبدي
 النابلسي الحنبلي عفى عنه

صورة تقریظ الفاضل الاديب الكامل الارب
 الافندي محمد البازالمكي

حمدا لمن اتزل لا يلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف وجعل
 لكل منهما سرايل ثقينا الحر والبرد مع الاطعام من جوع والامن من
 الخوف وصلاة وسلاماً على من اوفى جوامع الكلم واشتات الفضائل وعلى
 اله واصحابه وتابعيهم السالك كل منهم منهاج ادايه فلا شبهة فيهم لقائل
 وبعد فلما سرحت الطرف في محاسن روض هذه المقامة وارتويت بريق
 رائق معانيها الفيتها لكل نديم مدامة لا بل هي السحر الا انه الحلال
 والماء الا انه الزلال تشهد لحررها الفخر ابي بكر خوقير بالفخر وتدعن بان
 ما اتى به فيها هو دمية القصر وتيمة العصر ما بين مواصيل رائقه ومقاطع
 فائقة وامثال تضرب للناس للاستئناس وروايات تطرب الأسماع لرقبتها
 بلا التباس فاخر فيها بوسع درايتيه بين الشتاء والصيف وساعد كلا
 منهما على ضاحجه بلا حيف بالدرقة والسيف ولما تلاقيا خصمين بنى بعضهما

على بعض وتناولت اليهما اعناق الناظرين من الطول والعرض وقعا
 بحضرة المولى الجليل ذى الفضل السارى العالم العلامة ذى الغامة والشهامة
 استاذنا الشيخ عبد الحفيظ عثمان القارى واراضياه لها وعليهما حكما وجعله
 كل منهما لراية نصره مقدما سلك اعزه الله في الصلح بينهما جادة العدل
 والانصاف وحقق لكل منهما الفضل على صاحبه بما اوجب له الاعتراف
 بمكان سيارة حدثت عنها القوافي سلاسة ومثانه والفاظ كجب الغمام لا
 يشك العقدة المنظوم في انها فاقت جمانه ومنثور كانه الدر المنتور ومنظوم
 هو احرى بقلائد النحور فله درهما من جليلين مؤدبين والله نغرها من
 نعيمين مهذبين لا زالت شموس الاداب بمطالع سعادتهما ساطعة وشموس
 شوارد المعاني لعزة قوة بلاغتهما خاضعه وزادها الله بسطة في العلم
 والجسم واحيا بقاء حياتهما من ربيع الاداب ما اندرس من رسم
 كتبه بقلمه الفقير الى مولاه ذى الاعزاز

محمد الباز

صورة تقرير الحكيم محمد اجمل خان بهادر الدهلوى طيب

الذات النوايه الرامپورية سلمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من جعل الفصول شتاء ومصيفا وربيعا وخريفًا واودع في كل
 منها الآثار العجيبة والخواص الغريبة والصلوة والسلام على رسوله الذي
 هبت به نسائم الروح والريحان وزال بزال كلامه حر الفرق والعصيان
 واصحابه الذينهم كالشموس في سموات العلى والبدور الكاملة في الدجى
 اما بعد فقد فزت برسالة في غاية الفصاحة ونهاية الرجاحة والملاحة ومقالة
 في نهاية البلاغة محكمة الصنعة موقنة الصياغة مرتع لافكار الادباء ومطعم

لانظار الفصحاء تراها بكرة تنضج في حلال الحجاز وتتايل نيبها على شوارع
الحقيقة والحجاز تنجذب القلوب الى حسنها وجمالها وتندعش الابصار من
غنجها ودلالها كلما افكرت في معاسنها ازددت بها شغفاً ومتى اقتنيت
اثارها حصلت منها طرفاً (نظراً)

هي روضة لوشمتها * لجنت من ثراتها

وهي التي تبق الاديب يسر من تفحاتها

وتلك الرسالة مؤلفها الفاضل اللبيب والعالم الفاضل الاديب النبيل
الغريبر الشيخ ابو بكر بن محمد خوقير وضع فيها بدائع المعاني وصنائع البيان
لا كالتى لابنين ولا تان فيا لله من ربح هبت من ديار تهامه وظهر نجم
تلاً لا بعد استتاره تحت الغمامه الا ايها الطالع الصالح تجديفها الحر والبرد
الكالح متنازعين كاللعداديين اذا نظرت الى حجاج الاول وجدتها ربيعة
وان لا حظت براهين الثاني التيها منيعه فانهى امرها الى المصنف
الفاضل وركنت قضيتها الى هذا القاضي العادل فراعى الجانيين واتى
بما ليس فيه رين ولا شين والحق ان فيها من نوادر الادب ما تجود بها
ادباء العرب ان رايتها ازددت بها خبرة وبصيره لانها طلعت كالدراري
المنيرة وهي تضاهي الكتب الشهيرة في هذا الباب بل ورفعت عن سرائرها
الحجاب هذا والحمد لله خالق الخلق ومنزل الكتاب ومتمن الاعمال
يوم الحساب

الحكيم محمد اجمل بن الحكيم محمود خان الدهلوى

نقل من خطه الشريف حرفاً حرفاً

صورة تقریظ علامة المعقول وامام المنقول مولانا الشيخ

محمد طیب المکی رئیس المدرسة العالیة الرامبوریه

لا زال فی رتبة علیه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي وسم المواسم بحلى الثغور البواسم وزين الزمان بهذه
الاربعه الاركان فماست في غلايل وتاهت بتلك الحلى والشمايل تسمى
فصولا وهي موصوله وتبدو مدبجه وهي من الدرر مفسوله وليس هذا
باعتجب من اختلافها في العدد بحسب اختلاف الافاق والبلد في الافاق
المائلة هي الزمان في عدد العناصر للابدان وفي الافاق المستوي تحكي
الأمزجة الثمان هذا مع ما لها من جد وهزل . ورخاوة وأزل . وغضاضة
ونفج وبضاضة ونفج فانما هي راحة ارواح وساحة افراح وسكر وسكر ومزهر
وسمر ذلك تقدير العزيز العليم الحكيم القادر العظيم الذي اعطى كل
شيء خلقه وافاض على المتفائق رزقه وحقه فلذا استأثر كل شيء بحجماله وبلغ
مبلغ حسنه وكاله فكل في نفسه فاضل ولا يقدم العاقل على ان يفاضل
واما اذا اضعفتها الى طباع الناس وما يترتب عليها من وحشة وايتناس
فللناس فيما يشقون مذاهب ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك اللهم
الا ان تذوق من حزب هو حزبك وكل حزب بما لديهم فرحون فاذن
النظر في الصيف والشتاء اذا حقق وحقق يرجع الا ثلاثة اشياء نظر في
انفسهما فهما كاملان ونظر في منفعتهما الخلقية فهما نافعان ونظر في
منفعتهما بالاضافة الى الأمزجة فهما ضاران ونافعان فلذا توقفت المصنف
والحكم وانصف كل منهما في القضية وما احتكم فله ذر المصنف حيث
وفق للعدل في مثل هذا الزمان وافاض عليهما من نائل فضله الامان

وهذا يدل على سلامة سليقته وغازاة مادته وإيم الله أنه للعالم العلم الذي يبري السيف إذا علم بالقلم ويصوغ من المداد اللثالي ويريك الشمس في جنح الليالي لا أقول أحياء الأدب ونشره وإنما أقول خلقه فقدره وصوره وشق سمعه وبصره ليس للأدب كان صامتاً حتى انطقه وكدر حتى روقه وكان ذا مثربة فصيرته ذا مرتبة قوم رميمه واعد هشيمه وأضاف إليه خلقاً جديداً فليل لأعدائه كونوا شجرة أو حديداً فستعودون إلى دار البوار وتخذون من الحسد سيف النار وهذا الكتاب لا يتعاطاه سوا الأكياس ولا يتدارس غيره جميع الناس فهذا الكتاب للعلماء تذكره وللحذاق تبصره وللنعم مناهج وللبتداء معراج وفي المجالس نديم وللضيوف تكريم فإنما هو مسامرة الضيف ورحلة الشتاء والصيف وأعجوبة الدهر وسلافة العصر كيف لا ومصنفه ناصر السنة والكتاب كما أنه مشيد أركان الآداب ليس أنه لما برى نقاعد كثير من يجعل عن نصرته مذهب الامام أبي عبد الله أحمد بن حنبل قام بضبطه وتقوية ربطه والتنبؤ به باسمه في كل نادي وأشاعته في كل مصر ووادي فهو الذي إذا قرر افتادت له الشمس ومتى حبر تطامنت لهيبته الحبار والطروس

حبر امام العصر كهف بنيه * بحر ذخايره لكل نبيه
 بل عم من تهديبه احسانه * فتراه يعطي النصح من يؤذيه
 كالشمس يلحق كل شيء نورها * والدوح يعطي الفضل من يرميه
 روض العلوم وزهره اخلاقه * بحر ولكن كل عذب فيه
 ولقد تنبت الزمان واهله * وعجمته مضغاً بلا تمويه
 وصحت فيه كل شهيم كامل * فرايت منه بعض ما يخفيه
 لكن ابو بكر صديق صادق * صاف السريرة ناصح لآخيه
 قد قام للإسلام قومة ناصح * واهل در الفضل بين ذويه

هذا اذا ركب اليراع بنانه * جرت السوابق خلفه تبغيه
 واذا تكلم خاطبا ملك الورى * حتى نداه تقوم بالتنويه
 ادب ودين في مائة رايه * وفكاهة وظرافة في فيه
 ما فيه عيب غير ان زمانه * زمن نعى عن حلى التنزيه
 لكن ابو بكر معين كاله * بصفوه زمنى من التويه
 لا زال مضطلعا بكل فضيلة * في فضل عز سابق التويه
 هذا التقريظ لاملاء محمد طيب بن

المرحوم محمد صالح كاتب

المكي



- ﴿ كتاب سلوة الحريف * بمنظرة الربيع والحريف ﴾
 ﴿ لفريد الزمان الشيخ الاجل قوام الادب ابي ﴾
 ﴿ عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مقسم القسم * وبارى السم * ومدبم النعم * ومزيل النقم
 حمداً يوازي بواطن نعمه * ويجازي ظواهر كرمه * وان كان كرمه
 لا يوازي * ونعمه لا تجازي * باقضى المحامد * وابعده جهد الجاهد *
 وصلى الله على رسوله محمد وعلي الطاهرين من امرته . والطيبين من
 عترته *

خرجت يوماً وأنا في خدمة قوام الملك ونظام الدين ابي يعلى احمد
 ابن طاهر اطال الله في المعالي لتهديب المعاني بقاءه * وحرس في اقنائه
 المكارم عن انكاره فناءه * وحاط على الافاضل بالنداد الفواضل نعماءه
 وعطف على العلماء بحفظ ايامه وزمانه * وحمل الدنيا بعزة تمكينه فيها
 ورفعة مكانه * متنزها ومتفرجا من الخلفة بالوحدة متسلية * ومتشفيا ببرد
 النسيم عن حرقة كنت بها متصليا * متروفا بلواعجي اطفى لظى صدرى
 لها بندى دموع سحيم . على ابي احب المكان القفر من اجل اني به اتغنى
 باسمها غير معجم * فاطلعت لي عيني لتخلص مما بها على عين تموج بقاء
 سلسال زلال كانتا انكدرت من سلاسل في زلازل واذا قرب منه
 روضة دعنتي واشترأت لي على عين اخرى وهي لتفجر من محاجر الاحجار

هذا الانفجار كأنها سيف الصبح سل من غمد الظلام يتهدد الشهب بورود
 النهار * أو كأنها التضاض ينساب على الرضراض في الانهار * ففقدت
 عليه وحدي بل بوجودي خاليا * وبالنظر فيه ساليا * أتأمل منه مكانا
 خاليا * واتنفس نفسا عاليا * وامنى نفسي بلعل وعسى * لانه اذا امتلات
 نفس الكريم تنفسا * فلحقتني رفقة من اهل الادب * خرجوا للطرب *
 او لبعض الادب * وفيهم شاب كان جملة الجمال منه خلقت . وتاريخها
 عنه سرقت * وعلى جميع الخلائق فرقت * يتصرف بشأئله في القلوب *
 تصرف الهواء بالشمال والجنوب . له قد نخل في حشى النحل دقة وشر
 حوس طيب الجنى

وعينان قال الله كونا فكانتا * فمولان بالالباب ما يفعل الحمر
 وطرة كالفسق * على غرة الفلق . واصداغ ترقص على النار من
 وجنته * وتسلم عليها وتحرق العشاق دون الوصول الى كوتر فيه وجنته *
 فيا له من حسن شعر يغبر من وجه المسك لونا * ورائحة وعزا وصونا * على
 وجه يجعل البدر ويرده الى محله من الحاق * ويشور الشمس ويردها في
 في المغرب دون الاشراق * فلكننا حسنه واحسانه * وسبانا وجهه
 ولسانه * ولحق بي بعض من يخدمني فاستدعينا بشيء من البوارد * على
 ذلك الماء البارد * الذي يتلأ كالألآي من موارد كالمبارد *
 وتجعله ايدى الصبا ويلطفه كالهواء وينقيه من كل اذى وهباء *
 ويتخلل تلك الرياض غدیر كالمراة المجاورة يطلع فيها السماء . بنجومها *
 وكادت تخوض فيه زهرها بل غرقت بينها برسوبها وهجومها * وتجمشها
 عينون السحاب بسجومها * وقد اخضر شاربها كالأبرجد الانصر * وافترت
 عن شر حصانها كالدرد الازهر * وكأف وجه الارض بغايظ السماء
 بقديرها وبراغمها بزرقته وصفائه * وبزهر حصانها * كما تباريها باخضرار
 نباتها وكان السماء تجاري الارض باغبرار سحابها المتقطر * كذلك

تباري السماء باخضرار نباتها المتفطر * وكما ان الارض تشاكل السماء
بازهارها وانوارها * كذلك السماء تماثلها بازهارها وانوارها * وكذلك
الارض

يضاحك الشمس منها كوكب شرق * مؤزر بعيم التبت مكتهل
والسماء نقول ان لي احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لله
ساجدين والارض تقرا والنجم والشجر يسجدان فينا نحن في مفاخرتها
عبدا * وان لم تكن نظرا . اذ طلع علينا شيخ مثر من ثياب الديباج
والخز * مغرق في كسي الحرير مبطنه بالقز * مديد القناه قصير الخطى .
يقومه الفرح والمرح كالسهم فيمضي ويقوسه السكر او الكبر فيتمطى . فحين
قرب منا ملا الارواح خفة روح وظرفا * والانفاس ذكاء ونشرا وعرفا *
والقلوب ذكاء وبشرا وعرفا * والعيون جمالا وملاحة وبهجة . والمسامع
بيانا وفصاحة ولهجة . فقمنا واستقبلناه بل طرنا اليه * وطرنا حواليه *
بقلوب لميسته خافقه * ونفوس على شيبته رافقه * فبرنا ومبرنا * وحفنا
ورفنا * وخص كلاً منا بعرفه واحسانه . وابهج جماننا بلميح لسته وفصح
لسانه . فاقبلنا عليه وتركنا الشاب الذي تملكنا حسنه واصبانا . واقتنصنا
ظرفه وسبانا . واذا للشيخ بهاء وابيه . والفكرة فيه موقظة الالباب
ومنبهه . ومجالسته موجهة عن الجمول ومنبهه . وله شعر ابيض مشرق
يحمل بياض البازي . ولون احمر ناصع يخجل حمرة الباقوت البهرمانى
وعينه تذكر ان حسن عيون الترجس الريان . وحاجباه پصرانا
هلال الفطر سرورا وجورا او هلال رمضان . الامر بالبر والايان
واذا له ثمر يضحك من ندى الاقحوان . ولونه الدرى يهزأ بالمرجان
وانه يشمخ تيبها على الفتیان . ومحاسنه تضيء بياض النعمه .
وتزهر بنور النعمه . وتلوح بطيب النعمه . فجمعت النعم انواعا

والوانا . واستمكت الطيبات ضروبا وافنانا . وله صدر فسيح الارحاء .
يتسع لواردية الخوف والرجاء . فأقبل علينا بالوقار والسكينة .
والبلاغة المكيهه . وقال الآن اذ سكتتم الي وتمكتم . فقيم كنتم . فقلنا
له اعجبنا هذا الماء الصافي عن الكدر . وهذا المكان الخالي عن القتر .
فقال الشيخ هكذا يكون الخريف يصفو ماؤه . وتصفو نعامؤه . ويرق
هواؤه . وتخف ارواحه . وترتاح بتعيمة المقيم قلبه وارواحه . فانتدب
الفقي الطري . الشاب الاريجي . الذي تقدم ذكره وقال في غضب وحرده
يا خرف ابا الخريف تدل علينا وهو زمان امراضه مزمنة . وفصل جعلته
موهية موهنه . وحين طبعه حين وحى . ومزاجه موحش وبى . ووجهه
عابس . وترابه يابس . وهواؤه كالح . وماؤه بطبخ حرارة الصيف اياه
زقاق مالح . ولم نسيت فصل الربيع وفضله وسماه ونشره . وطلافته
وبشره . اذا اقبل يتهال ويتبسم . ويكاد من الحسن يتكلم . . طرى
الاحشاء والحواشي . ندي الغواذى والغواشي . لذيد الابكار سمجج
المواجر طيب الاضائل . فقال الشيخ بركون . وتودة وسكون . ما اسمك
ايها الظريف الطلق الوجه واللسان واليد . الماضي المضى . كالسيف في
الحد . والجد والحد . اللطيف في المنظر والمخبر والمطلع والمقطع فقال
اسمي الربيع بن الطيب فما اسمك ايها الشيخ الكرم في اخلاقه واحلامه
السيد الغافر بعفوه خطأ غلامه . المتجاوز عن ذل كلامه . فانا كما قال
السلامي

نسطنا على الآثار لما * راينا العفون ثمر الذنوب
ونحن اولاك نطلب من بعيد * لعزتنا وندرك من قرب

فقال يا حبذا وجهك المبارك . قد جل باربه وتبارك . اهلا بك
وبقومك . ومرحبا بوقتك ويومك . اسمي الخريف بن المنعم فما خجرك

مني وانا عن نفسي ناضح . يبرهاني الالأم الواضح . فقال الربيع وانا كذلك
فاعذرتي وقد عرفت طبعي في تلونه وان كان مقبولا وحالي
في تقننه وان كان لذيذا معسورا فقال الخريف انت يا فتى معذور .
بل مشكور .

فروحك الريح تخفي كل منتنة * ونارك النور تمحو كله الظلم
وانت من في وجهه شافع يمحو اساءته وفي حسنه دافع نافع فهذا يزين
كل مليح . وذاك يبدفن كل قبيح .

وقبيح الصديق غير قبيح * ومليح العدو غير مليح
فلم تفضل الربيع على الخريف . ياربيع الظريف . وقد عرف
العالمون بأسرهم واعترف العالمون ان الربيع في طبعه كما وصفت متلون
قليل الوفاء . كثير الاخلاق في الجفاء . لا يوقف على طبائمه وهي
كابى براش ولا يوثق بسجاياها وهي كابى قلمون بينا ترى الشمس سافرة
تقاها . وقد ارسلت سمهاياها . واوحلت طرق المارين وبلت ثيابها . وبينما
ترى اوجه السماء في بكائه وانها لاله واستهلاله اذ عاد الى ضحكته وتمهله
واستغرابه وبينما تراها وهي تقرب سحبا وتبعد . وتصوب رياحها وتصدع .
وتبرق بشعبها وترعد . اذا بدا لها واستبدلت بتلك الحالة ابدالها .
ليس كالخريف ساكن الجاش وقور الطبايع ثابت الشم مطمئن
السائل . يوقظ الناس للاستعداد للشتاء بالجنايب طورا وطورا بهبوب
السائل . وينبههم حينما يبرده الخفيف الرقيق القارص بانامله وتارة
ينبسه اللطيف الرقيق اللاحظ بنواظره وهو في هذه الاحوال كلها
يميرم بريعه الوافي الوافر فهم يمتارون منه ويمحتكرون . ويتوسعون
في ما ينالون منه ويذخرون . ويقتنون فواكهم ويعصرون
ويمتظرون .

✽ قال الربيع ✽

اما ما ذكرت من تلون طباع الربيع . وانه كل ساعة يأتي بخلق بديع .
وطبع غريب وكيف ينكر التلون من طبائع مختلفة . وامزجة مركبة من
عناصر غير مؤتلفة . وانما فعل ذلك لكي يحيي كل عنصر بمزاجه . ويهز
كل طبع بما يقتضيه من حاله لا فتقاره اليه بالمناسبة واحتياجه . ولكي
توتاح الامزجة بالتجدد بعد الاخلاق وتنتعش العناصر عن البلى فهو
يندرك بفعله اللطيف . ما افسد الخريف . وذلك التلون حبيب الى
النفوس لانه ركب من طبائرها ولذلك شبه الشاعر معشوقه به في
فعله فقال

اما ترى اليوم ما احلى شمائله * صحو وغيم وابق وارعاد
كانه انت يا من لست اذكره * وصل وهجر وتقريب وابعاد
وبعد فالنفس تمل والقلب يسأم الدائم والحض اروح والجديد الذئ .
واما ما ذكرت من سكون الخريف ووقاره فانما هو لبرده وبيسه والحي
تكون حياته بالحرارة مع الرطوبة والميت يكون موته من البرودة مع
اليبوسة فالربيع يحيي والخريف يبلى واما ما ذكرت انه يمير الناس المطاعم
ويفيض عليهم المناعم . فان ذلك كله مما نتجته ايدى الربيع وقدمه
تدبيره المصيب واورثه عمله النافع وولده كسبه المفيد وعلى الابام يظهر عمل
المدير المصلح . وبعد الاوقات يتبين تدبير العامل المفلح .

✽ قال الخريف ✽

اما ما ذكرت من الخريف وان طبعه بارد يابس كطبع الميت وان
طبع الربيع حار رطب وهو طبع الحي فقد جهلت او نسيت واخطأت او
خطيت فان الحرارة اوحى قتلا والمجمل اهلاكا من البرودة والدليل عليه

حال المبرسمين بالقياس الى حال المفلوجين والكيفية الباردة اليابسة هي للارض التي منها خلقنا واليها المصير . وعليها قرارنا ومنها غذاونا وهي المجدب والنصير . وهي طبع السوداء التي هي علة الآفات والثبات والحلم والوقار واصحابها من ذوي العلوم الشريفة . والصناعات اللطيفة . هذا ان سلمنا ان طبع الخريف بارد يابس واما ما قلت ان ما يميز الخريف فن صنع الربيع فكيف يكون ذلك والخريف وقت البذر والشتاء خليفته في تربته ولذلك قال الشاعر

ان الشتاء على كلوحة وجهه * لهو المفيد ظلالة المصطاف

فما للربيع الا اخراجها مع الحشرات واطهارها مع الهوام فيبلى ابلاء حسنا مشفوعا بسوء بلا . ويقترف فعلا واحدا بمزوجا بالف اذى . ومع ذلك فهو الذي يهيج الاخلاط الفاسدة في ابدان الناس ويشير الكيموسات الرديئة في اجسادهم وينذّب الكيفيات الخبيثة عن اجوافهم . وهي جامدة ويجعل الحرارة الغريزية عن احشائهم . فتذهب بها في الهواء المشاكل لطبعها ويترك اعماق اجوافهم هامة خامدة ويولد في بشائرهم وظواهرهم القروح والجرب والحكة والحصبة والحيات الدموية والاعلال الحارة والخريف يطغى هذه الامراض الدموية ويميت الحيوانات المعفنة ويفنيها او يجعلها كالفانية من السكون كالحشرات والهوام وهو الذي يعدل الطباع بميزانه ويسوي الامزجة في ابانه . وينعم الناس وسائر الحيوان بانواع نعمه والوانه . وينصف النهار والليل عدلين مؤتلفين . ويجعل الغنى والفقير بمرتبه مثلين غير مختلفين . فيوتهم مملوءة حبونا . وحبايبهم مشحونة مشروبا . ونهارهم مشغول باقتناء المير والذخائر التي اوسعها عليهم الخريف لثنائها . وحضهم كل بكرة على اقتنائها . وليلهم ملهى بالشراب الطيب والنواكه اللذيذة والرياحين الارجح والخيزات البهيجه .

❖ قال الريح ❖

اما ما ذكرت من الريح وان حره بودى او بودى بالانسان وسائر
الحيوان ووصفت العلل الحارة كالحميات الدموية مثل السرسام ونحوها من
شدة الاسقام فقد اوهمت . او وهمت . وتغافلت . او اغفلت . اذ
الريح في طبعه معتدل المزاج ولذلك قال جالينوس من لم يهزه الريح فهو
فاسد المزاج . محتاج الى العلاج . وانما يقع اكثر هذه الامراض في
صميم القيظ وحمم الصيف الحار . وانما تاخذ الجار بذنب الجار . والريح
باعتدال طباعه والنتام مزاجه وانتظام احواله وائتلاف اخلافه وافعاله
يقوى كل طبع ويبعث كل مزاج وينبه من فسد بعض الاخلاط من
مزاجه . ليتشعر في علاجه . ويحیی كل موات بعد ضياعه ومفتقده .
ويضعف كل بال عن مرقده . ويذكر بالحشر . ويدل على صحة النش .
واما هذه الحشرات والهوام فان الله تعالى خلقها ولم يخلقها من فائدة تعود
بمصلح الخليقة ولم يخلق شيئاً عبثاً بل كلها يختص بمنفعة للبرية وان
سمومها اذا اخذت منها واخرجت تدخل في الادوية المحرمة ويستعملها
الاطباء في الادواء المؤذية . ويستشفى بها في الامراض المرذبة . ومع ذلك
فانها اعنى الهوام والحشرات تجذب من الارض وسائر الاركان السموم
التي تخالطها مما يشاكلها . وتستلب منها ما تعتدى به مما يلائمها ويوافقها .
فتبقى الاركان للنبات الذي يحتاج اليه الحيوان صافية عن كل شائبة
وقذى . ويخلق النبات والاعذية نقيّة من كل عاثبة واذى . واما ما قلت
في الخريف وان يوسع على الناس وجميع الحيوان ما كلفها واغذيتها .
ويفيض عليها فواكها ورياحيتها وانبتتها . فهذا بان يكون من معائب
الخريف اولى من كان يكون من مناقبه وهو احد الاسباب التي يكثر بها
الاسقام المزمّنة في الخريف فانه يستكثر الناس من اكلها فتشوبله طبائهم

يجلب المرض . او الحرض او السبب له والعرض . ولا يحتمله مزاجه
الذي اقبله حر الصيف وانخله ضرر القيظ واستصفتة وقدة الهواء .
كما يستصفي التنور المسجور رطوبة الشتاء . وحلل حرارته الغريزية .
وفش مخونه الطبيعية . حر الفصل فلا يطبق ما يأكله بالخريف ولا
يحمل ما يناله فيسنوخه ويسنوبله ويولد عليه الداهية السماء من
الامراض والمظلة العمياء من الاوجاع ولذلك جاء في الخبر ان مما يثبت
الربيع ما يقتل حبطا او يلم . والربيع بحمد الله مقل من الفواكه المضرة
والانبذة النيثة والاطعمة الوبيلة الوبئيه . والاغذية الوحجة الودئيه .
وغذاوه للناس من الخبز الخنطى النقي واللحم من الرضيع والشراب العنبي
العنيق المرى وتنقلهم بالفواكه التي قلما تعفن بمنزلة الزمان والسفرجل
والنفاح ونحوها مما يبقى في الشتاء بقوته ومشمومهم من الورد الرايح اللانح .
والنور العبق الروائح . والساسموم الذي ياخذ بطبع الربيع في اوانه فيكون
حارا رطبا لا كما يكون في الخريف باردا يابسا مولدا الزكام . كقطر الزكام
ومورثا الصداع . يشق الراس بانصداع . وها من خصائص الخريف اعنى الزكام
والصداع ومسمومه من اغاني البلايل والقاري ونحوها التي يهزها الربيع
برواحه التي تعبر عن العبير والعود والقمارى لان الربيع كما قال
الزعفراني .

وفصل فيه للروض احتيال * لان جميع ما لبست حر يد
وللاغصان من طرب ثنن * اذا جعلت تغنيها الطيور

✽ قال الخريف ✽

يا فتى ما اعذب لسانك . واعجب شانك . واملحك في فصاحتك .
وافظنك مع ملاحظتك . حيث تعجزنا ببيانك الشهي . كما تسحرنا بلقائك
البعي . فتأق الى ما اجمع العالمون على استهجانه فحسنه . وما اطبق الحكماء

على استحقاقه فتحببته فانه اتفق العاقل والجاهل والبار والفاقر على بغض
 الهوام المرديه . وعلى الحشرات المؤذيه . وكراهتها واستقذارها . واستنجاسها
 واستنكارها . لما تعافه الطباع في احساسها بالابتداء . ولا تحافه المعارف
 من مضارها في الانتهاء . واثت تصفها بكثرة منافع ومصالح وتكابر العقول
 السليمة والعادات المستقيمة . بلسانك الحول القلب وظرفك المخلط المذيل
 وبيانك المعن المنق وما اتفق الناس على السعي فيه والحركة له والبقاء به
 والحرص عليه والحنين اليه . ومنافسة بعضهم بعضا لاجله وبالجملة ما به
 صلاح العاجل والآجل وفيه خيرات المعاش والمعاد حيث تعيبه وتذميه .
 وتهمم رايك بذلك ونصيه . وهو نعمة الله التي جعلها مادة الحياة وصورة
 البقاء لاجل من يستكثر منه فلا يستترئه . وبسبب من يستعز في فلا يهينته
 وتروى له الخبر الوارد في الربيع وتحيله عن حالته . وتقلبه عن قلبه
 وهينته فانه قال ان مما يبيت الربيع ما يقنل حبطا او يلم وانما قاله
 للمواشى دون الناس فان الربيع لا يبيت شيئا يتالونه فيحيطون منه فويج
 لسانك انه حسام . الذ الخصاص . ملتهم المخامد قاذف المذام . اما الكلام
 في الحشرات والهوان فان استنصرار الناس بها معروف وانفعايم بسببها
 منكر وغوائلها جليه . وعائنتها خفيه . واما ذكرت ان بسومها يسندفع
 بعض الاخلاط الفاسدة فلعل تلك الاخلاط منها تولدت في النبات
 وبها اخلطت بالامزاج والامشاج وبروائحها امتزجت بالحيوان فهذا ما
 بطن من حالها وما كمن من افعالها فاما الظاهر فان الافاعي والحيات .
 والعقائب والجرارات . ونحوها فهي قاتلة معطبة او موزية مؤلمة ولا تخلو
 من اتلاف . ولا تعرى من اذناف . واما النعم الطيبات التي جعلها الله
 رزق الخلق وابتتها في الخربف فهي مبنغة مرتضاة محبوبة الى الخلق
 مقضية وهي تشتهيها الانفس وتلذ الاعين وبها وعد المتقون في دار البقاء .
 وايها منى الابرار الى مثابة الثواب والجزاء . ولكنك اعطيت مبدئاً

ما استوددت منتهيًا . واصلت قياسًا . تبنى عليه ثم هدمت منه اساسًا .
 فقلت بآخره ينال الانسان في الربيع من الما كل والمشارب والمشام
 والمسامع كيت وكيت . وحكيت من طريق التنعم ما حكيت . وما افقوت
 الا بما افناه الخريف واعطاء . ومهدد للخلق ووطاه . وان لم يمكن به
 الاستمتاع الى وقت الربيع وقد ببق منه الكثير الى طلوع الخريف وقلما
 يستمتع به المرتبوع وذلك لانه مملوء بسخونة الهواء . الذي يمنع من استيفاء
 الغذاء . ولا يهتأه ان نشط في الامتلاء . وهو مملؤ باخلاطه المائجة . وكيموساته
 المائجة . ويعنيه من امرها ما يشيه عن تمتعه وبضجوره بعمره . فضلاً عن تقعد
 عينه بالتنعم وتعهد امره . اللهم الا الاغنياء الذين يقل عددهم . وتكثر
 عددهم . ولم ايضاً حاشية وغاشية . وعليهم غادية وعاشية . فالحاجة عامة
 والغنية والقنية في الربيع معدومتان ثم ان وجد واجد فهو كعدوم لان
 ايامه مشغلة مزحمة اولها من الحوائج البشرية . وهي مشغلة ومجمعة
 اوسطها بالحرارة الشمسية . وهي مبغضة ومقدرة آخرها من الحشرات
 الارضية . والقاذورات الهوائية . والعفونات الربيعية . وليله غفوة كحوسة
 طائر . او فبة عجلان او خلسة زائر . واما المخترف فنهاره بقدر ما يكتسب
 فيه وبقتوف . ويعمل به ويحترف . ويقضي المهات . ويكشف الملمات .
 وليله للطرب . وقضاء الارب . والتنعم والعجب كل العجب ممن يستوخم
 فيه ما يناله من الطعام . وهو يقوده باشهى الادام . ويسوقه باهنا المدام
 وذكر جالينوس ان الاوباء . التي تقع من العفونة تم افناء الناس اهلاكا
 وافناء . الامدني الخمر فانهم يتخلصون لان فضول الخمر لا تتعفن .
 فالخريف يمنع بالطيبات المطوبه . والملاذ المحبوه . ويصلح ما افسده
 القميط بمزاجه الحار اليابس بترطيب الشراب المرى . ويسوي ما عوجه
 الصيف من النحول والذبول بتغذية الطعام الهني . فهذا صلاح الخريف
 وفساد الربيع

❁ قال الربيع ❁

لله انت من شيخ بهر بل بهت العقول . في ما يقول . ويهي بل
 يعمه الذكي الفطن . بما يظهر مما يريد او يطن . الا ان كلامه لا يعدو
 مناعم المطامع او مطارب المشارب والشيخ مثلك يجب ان يقنع من الدنيا
 باللذات التي تروح الروح وتنفس النفس وتقر العيون وتسرع القلوب
 وتطرب الافهام الذكيه . وتطري الاوهام الصفيه . من مباح الربيع
 وملاذه وطيباته ومساره فكما صعد الناظر فيه ناظره رأسه وجهاً للسماء
 يهجه البيضاء البليج . وعينا سوداء من ظلام الغمام ذات حدق ادعج .
 وهواء باعتدال قوامه وحسن نظامه جد سجع . والشمس تسفر حيناً
 وحيناً تئقد والسماء تخلع طوراً وطورا تنسحب والرعند يقهقه من برق
 يتسم . ونبل الوبل يرتقي عن قوس في معارج الهواء نتلون وترسم
 والسحاب كجليع من الفتيان يسكب دمه وقد هزه طرب الراح . والنسيم
 نشوان والجوصاح . وكما صوب ناظره الى الارض صعد بصره بوشي
 ديباج حكته بد الربيع ووشته . ونمخته انامله بضروب من الرق ونقشته .
 وطرزته من الورد باحمر رغما للباقوت واصفر غيظاً للعين . وايض نجلا
 للدر واللجين . وصبغته اعنى الورد آونة على لونين ليتسلى به العاشق
 والمعشوق . ونفاهل باجتماعها الشائق والمشوق . ومنعت منه طوراً
 باللين الناعم حاسة المس وتارة بالرائحة الفاتحة حاسة الشم ومرة باللون
 الرائق الرائع حاسة البصر ثم جلت كل وقت عروسا من الرياض في الوان
 من الازهار . وانواع من الانوار . وقد غسلتها ايدي الفوادي ومشطتها
 لمقايض الروائح . وعطرتها من النسيم المسكي باطيب الروائح . فهي تفتال
 وتبديج . وتتعطر وتنارج . وتزفل من حللها وحليها بين مرمر ومنقط .
 ومسهم ومخطط . وسير وملون . وموجه ومعين . ومقرط ومشنف ومتوج

ومعصب ومكلل ومزبرج . وممسك ومعنبر . ومصنذل ومكفر . ومدرم
ومدثر . صبغة الله ومن احسن من الله صبغة وصيفته . ومن يأتيه بمثله
صبغة لا صنعته . وهل له شريك في صنعته

وكأن السماء تجلوعروسا * وكأننا من قطره في نثار
وكأن الرياض تنظر الفا * وكأننا لحسنها في نظار

فالربيع انموذج الجنان وتوابه المسك الاصب . والعتبر الاشهب .
والكافور الازهر . وهو اؤه لا حر ولا قر . وماؤه كوتر . وانهار من ماء
غير آسن وانهار من غسل مصفى وانهار من خمر لذة للشاربين كذلك ماء
الربيع خلوقى في اللون عسلي بالذوق خمرى بالصفاء والاستمرار * واما
ما ذكرت من اعتدال زمان الخريف المسوى بالميزان فهذا الاعتدال
بالحقيقة موجود في الربيع فانه معتدل الليل والنهار والاصائل والهواجر
وذلك الاعتدال الذي هو للاوقات موجود ايضا في الكيفيات لاستوائها
في الوزن من الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وهو مرضى * والاعتدال
الذى للخريف مسخوط الكيفيات لخروجها عن الاعتدال الى البرودة
واليبوسة فالربيع من الاركان بمنزلة الهواء في اعتداله ولطافته . ومن
احوال العمر بمنزلة الصبي في طراوته وطلاوته ومن الاخلاط بمنزلة الدم
في عذوبته وحلاوته . لانه شباب الزمان . وربيع الاكوان . وعنوان
العام . وعنفوان الايام . وبأكورة العمر . وبكر الدهر . وانف الكاس .
ورأس النفس بل هو عين كل رأس . ومطلع القصيدة . واول الجريدة
وبالجملة الربيع لب الزمان والخريف قشره والربيع نقيه والخريف عظمه
والربيع صفوه والخريف كدره والربيع سلافه والخريف عكره والربيع نديه
والخريف درديه والربيع انفه والخريف ذنبه . ومن يسوى بانف الناقة
الذنب . والربيع صدره والخريف عجزه وليست الاعجاز مثل الصدور

❁ قال الخريف ❁

تبين اي الفصلين أكثر منافع . واوفر مكارم . واوفى اغناء . واقناء
واقنى اعطاء . وايلاء . واصنى ابتداء . وانتهاء . وكل منا يمدح صاحبه ومن
يمدح العروس غير اهلها ويذم قرنة ولا تعدم الحسناء . ذاما فعلينا ان نبين
وجه التفضيل بمخصائص كل منهما وانت تدعي ان الربيع ايبين صفاء
واحسن اعتدالا واولى الثنأما . وابلغ انعاما . اما الاعتدال بالذات فغير
موجود للاشياء الكائنة الفاسدة لانها لو اعتدلت وتكافأت قواها .
وتساوت اجزاؤها . لامنعت عن الفساد . لان كل واحد منهما منع
صاحبه عن القهر والعناد . واما الاعتدال بالاضافة فانه يكون فلنتجش عن
الفصلين ايها ايبين اعتدالاً فقد علمنا ان الربيع اوله عند مبلغ الشمس
رأس الحمل والحمل نائيره بالحرارة واليبوسة ولفضله برودة ورطوبة ورثما
عن الحوت الذي استديره وبرودة ويبوسة يستفيدها من الثور للذمى
يستقبله والميزان في نفسه نائيره الحرارة والرطوبة ولفضله برودة ويبوسة
مستفاد من السنبلة التي استديرها وبرودة ورطوبة من العقرب التي يستقبلها
فاذا قول كل واحد منهما بصاحبه ساوى الحوت والعقرب والثور السنبلة
في كفياتها وبقي الحمل في نفسه حارا يابساً لانه بيت المريح وشرف الشمس
وناهيك بما لها من الحرارة واليبوسة والميزان بيت الزهرة وهي احد
السعدين فبقى للميزان الاعتدال ولذلك سمي به لان فصل الخريف استفاد
من الصيف حرارة ويبوسة ويستقبل من الشتاء رطوبة ويبوسة وهو في
نفسه حار رطب * واما تشبيهك اياه بالشيخ وتشبيه الربيع بالصبي ثم
تفضيل الصبي على الشيخ فهو امر غريب ومعنى بدیع وهب ان الخريف في
طبع الشيخ والربيع في طبع الصبي في الدنيا احد يفضل الصبي على الشيخ
فان للصبي رطوبة موجبة مضطربة تمنعه عن جودة ادراك المحسوسات

فضلاً عن ادراك المعقولات والشيخ ذهب عنه رطوبة الصبي وانصلت
 منه حرارة الشببية المفرطة واعتدلت كيميائه وتكافأت قواه وتساوت
 احوال مزاجه فلذلك يكون ادرك وادرى . وابلغ وابلج . والطف والطي
 واذكروا ذلك . وشبهت طبع الربيع بطبع الهواء فلهجري ان الميزان اليق
 بهذا التمثيل من الحمل لو انصفت فان المتجمين والاطباء اطبقوا على قولهم
 ان الميزان هوأي اي له طبعه وكذلك الدم * واما ما ذكرت ان الربيع
 استبد بالورد والنور والزهر واختص بالشراب الصافي والماء الخلو في والهواء
 الرقيق والسما المبرقة المرعدة فقد علمنا ذلك * اما الورد فقد يكون ايضاً
 في ايام الخريف وخصوصاً النسترن وهو اطيب الوانه وكذلك النور والزهر
 وكلها في الخريف اطيب منها في الربيع لان رائحتها محصورة فيها غير
 منبثثة عنها وان كان الربيع يزهي بالورد السريع الورد العاجل
 الصدور الذي لا يشمه الشام صالحا واذا هو ذابل ولا يشمه اللامس
 واذا هو ذاوسى ولهذا يعبر العشاق معشوقهم بالانتقال
 عن العهد : والزوال عن الود . ويشبهونهم بالورد ويشبهون بالآس
 وانما منهم ان يشبهوا بالرجس مع بقائه . وحسن عهده
 ووفائه . لانه يكون تزكية لانفسهم وتفضيلا لنواتهم على
 معشوقهم بالحسن الرائع البهيج . والطيب الريح الارج . والطرف الفانر
 الفنج . والقند المستوى المنعرج . هذا مع بقائه ووفائه وامتاعه بنفسه
 جملة اشياعه واتباعه والخريف يختص به وبالزعفران ايضاً وهو من الحسن
 والطيب . والتفريح والتطريب . والنفع في ادوية كثيرة ومعاجين حمة
 وزرائر عزيزة ما لا يخفاء به وله مدخل في عداد العطر والطبخ والادوية
 واصلاح الاغذية وتطيب الماء كل وابلغ في التفريح مبلغاً لا يدركه شيء
 الا الخمر وقد يلقي فيها ويسقى الشارب تعمداً فيصير به ضاحكاً آتياً
 بمحائب . من المطارب والملاعب . * واما الشراب الصافي فقد يكون

ايضاً في الخريف اصنى واعنى منه في الربيع ويفضل الخريف بالحديث
الطرى وما للربيع فمن الخريف استفاد وكل خير له من عنده والشرب من
اوفق الاشياء بالخريف وهو اصلح منه في سائر الفصول لان الشراب فعله
التسخين والترطيب لان هذا الفصل مكتس ومكتسب من الصيف
يبوسة ومن الشتاء برودة فيكسر سورتهما به وينقل غوائلهما بسببه وهو
ضار في الربيع لان فصله اجتلب رطوبة من الشتاء واكتسب حرارة من
الصيف فلا يقوى على حرارتي الشراب والفصل ورطوبتهما فلا تحتملها
طباعه ولا يستقل بهما مزاجه وهو ضار ايضاً في الصيف لافراط الحرارة
وفي الشتاء ايضاً لكثرة رطوبته فاوفق الفصول للشراب الخريف وتعديل
المزاج فلما يتأتى الالمن يتعاطى الشرب هذا مع ما فيه من الطرب
والسرور والفرح واجمع الاطباء انهم ما وجدوا شيئاً يقوم مقامه في تعديل
المزاج وتسوية القوى بلا مضرة واجتلاب الفرح والمسرة اذا اخذ على
وجهه منه ولذلك قال فيه القائل

ها ماها لم يبق شيء سواها * حديث صديق او عتيق رحيق
وهونت حلو الحادثات ومرها * بخلو حديث او بمر عتيق
واما الماء الخلوقي الذي اعتدت به فما ادناه من اعتداد . واقصاه
من سداد . واي خير في ماء اختلط بالطين . وامزج بالتراب والصلصال
الملين . فلا يمكن الشارب العطشان ان يقربه . فضلاً عن ان يشربه .
واما البرق والرعد فاي فائدة في بارقه . ربما عادت شرصاعه . وحرقت
اشخاص كثيرة ولا تغلظ من احراق قط اذا كثر حتى انه يذهب كثيراً
من الاثمار مثل الكثرى وغيره * واما الرعد فانه في قلة المنفعة كهوت
الطبل بل دونه فان في هذا انذار بامر حادث وسلطان طارىء . والرعد
يهدم كثيراً من الابنية البرية ويفزع جماعاً كثيراً من البرية ولهذا يقال

لمن يتهدد بياطل فلان يردد ويبرق كما قال الشاعر
 ابرق وارعد يا يزيد فما وعيدك لي بضائر

✽ قال الربيع ✽

ما احسن كلامك لو كنت تراعيه فلا تنقض في القابل ما تنيه في
 الغابر زعمت ان الخريف تأثيره بالحرارة والرطوبة لان الميزان بتولاه وهو
 هوأني دموي ثم جئت الى ذكر الشراب وقلت هو موافق في الخريف لان
 طبع الخريف بارد يابس وطبع الشراب حار رطب ونسبت ما ذكره
 الحكماء في طبع الخريف وانه بارد يابس مبرح . مكرب مترح . ولذلك
 كانت امراضه مزمنة واطباقهم كافة ان طبع الربيع حار رطب مفرح .
 مطرب مروح . ولذلك صارت الدماء به في الاجساد منبشه . والحرارة
 التريزية منبسته . وادعيت ان الشرب في الخريف اوفق واطيب واغفلت
 ان الشراب حار رطب وكذلك الربيع فالملاءمة بينهما اكثر . والموافقة
 لها به اوفر . والصحيح يتغذى بالمشاكل الموافقة والمريض يعالج بالضد
 وهيك لم تعلمه اما شهد لك الحس الصادق بطيب الشراب المورد على الورد
 او ما سمعت ما قال فيه القائلون . وما تقلب في افانينه الشعراء والملمهون
 او ما بلغك ان احدهم يحلف ابنا له ألا يشرب فلما بلغ الى آخره قال
 او زمان الورد ايضاً وامتنع من اليمين . ووثق ان يبحث فيه او يمين . وما
 حكي ان حائكا في زمان المأمون كان يعمل عمامة وقتها اجمع اكنع
 لا يستريح ليلا ولا نهارا . ولا يجم سرا ولا جهارا . ولا يترك عمله في
 الجمعات والاعياد ولا يقتر عن شغله بالتوايب والمصائب فاذا جاء زمن
 الورد التي حفه وانشد شعرا واشتغل بالشرب اربعين يوماً ووصفت حاله
 للأمامون فاجرى عليه ما اغناه عن عمله . واجزأه عن حياكته وشغله .

ولو ذكرت كله لتعسر الخطب وظال الخطاب . وعرضت جبال المقال
وامتدت طنب الاطناب . وانما قلنا ذلك لان الشراب والريح
يتزاوجان بالامتزاج . ويتحدان في الازدواج . فيقوى فعل الروح
لانقاذها بالراح وهذه هي علة الخمر في اجتلاب الفرح والاريجية والمزفة
التي تحدث للشارب وذلك لان الدم ينبوع الحياة ومطلع السرور بزيادة
الحرارة الغريزية ولهذا يكثر الفرح والضحك في الصبيان ولمن يغلب عليه
الدم وبهذا السبب بعينه يستولي الطرب على الناس في الزبيح لانه فصل
معتدل والغالب عليه الحرارة والرطوبة وهما طبع الدم الذي هو ينبوع
الروح فقد تبين ان الريح يزيد في الروح ويمد في الروح ولهذا المعنى اتفق
اشتقاق الروح والراح والروح كلها من الريح معنى مصيبا واحسن ابن
الروني حيث قال

والله لا ادري لاية علة * يدعونه للراح باسم الراح
أرريحه ام روحه تحت الحشا * ام لارتياح نديه المراتح
ويسمى الدم ايضا نفسا لهذا المعنى ولمشاكلة الريح الدم الذي هو
مادة الروح وعنصر النفس يهبج الريح الدم خاصة وبشير سائر الاخلاط
عامة وفي اثارها فائدة خفيت عليك وهي لكي يتدارك بالمعالجة والمداواة
وشرب الادوية التي تجعل الاجساد منقاة من الفضول مصفاة مسواة
والريح ينشر حتى الجماد وينبت حتى الاجحار . فضلا عن الحشائش
والاشجار . ويطلع الازهار والانوار . وينجم الاوراق والاثمار . ويظلل
السماء بالمطارف الغبر . ويفرش الارض بالمطارح الخضرة . ويحجل الجبال
بالحلل الحر . ويقعد على الرؤوس اكلة من الاشجار المنتشبة ويصلل بها
نتارا من الانوار الموقدة وينصب للطيور مناير تضي عليها وتدمر اطياب
الاناثي والزرر . ويطيب للناس لذيد العمر . فكانه بضمهم عرس واحد
ويجهم دعوة جفلى . ويقريهم مأدبة فوضى . او كان كلهم ملك

الارض باسرها وكان ازهارها وانوارها دراهم ولاآل منشورة عليهم ووردم
وشقائقهم دنانير وبواقيت مبذولة لم وكان نباتها زبرجد ومينا وفيروزج
متوجة اياهم وكان امواها الخلوقة صهباء عتيقة بشر يونها فتطرب بها
قلوبهم وترتاح وتنزاح بها عنهم الكروب وتزول فهل يستوي هذا وقشف الخريف
وظلفه ويسه وقاره وغباره وكدره وتقيضه وعموسه . وتقطيعه وبوسه .
فعيون الناس فيه سائلة وعيون الارض جامدة ووجوه السماء مغبرة .
وخدود الخلق مضرة . وظواهر الجبال ومفارقها من هول البرد مبيضة
وبواطن الوري وصدورها من كرب الخريف مسودة والشمال من الارواح
عاصفه وشمال البرية بالارواح عاصفه . فهذا حال الاغنياء منهم فكيف
ظنك بالفقراء . الذين ما لم غطاء ولا وطاء . واني تخيلتك في الغبراء
الذين ليس عندهم ثاغية ولا راغية ولهذا كان عمر رضي الله عنه اذا
اظل الشتاء كتب الى كل ناحية جاءكم العدو الحاضر فاسنعدوا له واذا
سفر الربيع نقابه واكتسى جلبابه ارتاحت لمقدمه القلوب وانفتت الغموم
عن لا يملك قيد سيد ولا لبد . ولا ياوى الى والد ولا ولد . واما
وصفك طبع الربيع بالاعتدال فالله كافيك وحسبك انك تقول شيئاً وتعلم
خلافه وتظهر معني وتضمر سواء وان بدري جميع الناس انك بموه فيه .
ومزخرف في ما تخلصه منه وتستصفيه . او ما يخاف الكذوب ان يذوب
والفصل المعتدل لا تزمن امراضه . ولا تدمن ارجاعه ولا تقتل اعراضه
وهذه قصيرة من طويلة

❀ قال الخريف ❀

حاصل كلامك ان الربيع ينبت ويورق . ويزهر ويرعد ويبرق .
ويبقى ان تنظر ما الشيء الذي يثمر ويجنى ويطعم . ويحصد ويقطف

وينم بنم . ويزرع ويندر . ويربي ويوفر . وليس ذلك الا الخريف وتفضيل
 الخريف على الربيع امر متفق عليه قد صنف فيه كتب سائرته . ودونت به
 اشعار في ابدي المتاديين دائره . * فمن ذلك ما كتب علي بن حمزة الى ابني
 الحسن بن طيايا العلوي فقال * الخريف ثمرة الربيع كالشجرة التي ثمر ولولا
 الثمر لم تكن في الشجر فائدة وفي الخريف تحصل اصناف ما يتمول وما يدخر
 من اقوات الخلائق المسككة ارواحها الى الخريف القابل وفيه يكون
 الزعفران وله على جميع انوار الربيع فضل وله ورد يطلع كصل السهم النابكي
 وقرن الخشف في لون الياقوت الازرق . واللازورد المونق . كالعيون
 الشهل واعراف الطواويس المتجملة ويتفتح عن شعر كحيوط الذهب
 والخطوط الحمر . في اغلاف الحلل الخضرة . وكشور نار يلوغ من حدائق
 البنفسج كالسن الحيات المنفضة ويطلع ورد الزعفران البري في السنة
 مرتين ربيعاً وخريفاً غير ان البري لا يكون له نور الزعفران المستعمل
 وحشيش الزعفران يشبه اذنان الخيل وبصر على البرد فيبقى اخضر ناضرا
 والدروع مصفرة وله اصول كعقد من العاج وقلك مغازل الابريسم ويبقى
 تحت الارض طويلا فلا يتغير متدثراً بجمل كصوف الخزوليف جوز
 الهند * وفي الخريف يبعد النخل . ويجمع اعسال النحل . وتقطف الاعناب
 التي فيها المنافع وفيه اجتناء الاقطان التي منها لباس الناس وزينتهم
 احياء . وسترهم بعد الفناء . وفيه يقطف اللوز والجوز والعناب والنبق
 وغير ذلك مما يع نفعه وفيه تتلخ ذوات الاظلاف الانسية والوحشية
 وفيه مطارح البراة وفيه ينضج الاترج واوراقه تشبه شقق الفريد اذا
 خطر في الرياح خفت خفق المطارف الخضرة وله ورد كالفاغية وهي ثمرة
 الحناء ويتفتح عن مثل خرزات الزبرجد ثم يعظم وتشوب خضرتها صفرة
 الرحيق الاصفر فاذا خلصت الصفرة صار ذلك كلالا ظاهرها ذهب
 وباطنها فضة فيها حب كاللؤلؤ والمرجان وقشره ينفع المعمود وله اذا حرك

عرف بفوق ارج رياحين الربيع ويستخرج منه دهن اذكي من النار وله
 حماض لذيد بطيب القدور وينفع المحزون واذا تصرمت الرياحين في الشتاء
 فالانرج غض طري وقد اجتمع فيه وفي الغضب الطبايع الاربع فوصف
 الخريف وذكر فضائله واقتص خصائصه كما ترى في الترواما النظم فمن
 ذلك ما قاله ابو الحسن ابن الرومي من قصيدة

لولا فواكه ايلول اذا اجتمعت * من كل نوع ورق الجو والماء
 اذا لما جعلت نفسي متى اشتملت * علي هائلة الخالين غرباء
 يا حبيذا ليل ايلول اذا بردت * فيه مضاجعنا والريح سجواء
 وجهش القر فيه الجلد واشتملت * من الضجيجين احشاء واحساء
 واسفر القمر الساري بصفحته * وربالها من صفاء الجو لآلاء
 يا حبيذا فحة من ريجه سمرا * يا تيك فيها من الریحان امضاء
 بل فيه ما شئت من شهر تعده * في كل يوم يد لله يضاء

ومن ذلك ما قاله عبد الله بن المعتز

اشرب على طيب الزمان فقد حدا * بالصيف من ايلول اسرع حاد
 واشمتنا بالليل برد نسجه * فارتاحت الارواح في الاجساد
 وافاك بالانداء اقدام الحيا * والارض للامطار في استعداد
 كم في ضمائر تربها من روضة * بمسيل ماء او قرارة واد
 تبدو اذا جاد السحاب بقطرة * وكأنا كنا على ميعاد
 وقال ابو عمر عبدان القرخي يصف الخريف ويفضله على الربيع
 وارى الربيع عيون قوم اغضت * طيب الخريف وبصبح الامطار
 ان كان ذلك لواضحات درام * بين الرياض ثرون من اشجار
 فلها نثار في الخريف ينوقها * حسنا على الجنات والانهار
 تحكي ذنانيرا لنا اوراقها * ولها فضيلة مطعم الاثمار

وخلا الربيع فالنا فيه سوى الارواح والانواء والامطار
 ومخافة الارعاد اثر صواعق * ترمي البلاد واهلها بالنار
 فاسعد بقتلهم وانعم منهما * متعوذا بالله من آذار
 واشرب على ورديهما مشمولة * من زعفران طالع وبهار
 يفتيك عن ورد الربيع وعرفه * عن شم طيب لطيفة العطار
 ياخذ ايلول جاء مبشرا * بالخصب بعد المحل في الامصار
 والشمس فيه وفيهما ميزانه * حلت لوزن عادل المعيار
 اخذ النهار ولبنا حظيها * فالليل عن وزن كفاء نهار
 وكفالك في ذم الربيع رواية * ينيك عنها حامل الاخبار
 فاذكر كلام نبينا في قوله * صلت عليه ملائكة الجبار
 اذ قال هل يجزج آذار لنا * خرف القيامة فيه من بشار

وقال ايضا يصفه

آذار جوك للغيوم مسخر * اذ لست انت لنا الخريف الازهر
 وضر الشتاء بنا اضر وبرده * فابعد رشيدا انت منه اوضر
 ركبت غيومك في السماء كأنما * غطى عليها منك لبد اغبر
 هناك اول برده متزايدا * من ظل كانونين مرا اكر
 والشمس عن نظر الوري محجوبة * فكانها عذراء او هي استر
 تغدو وتمسى في اسار اصايب * ولها متى طلعت شعاع اعبر
 ما بين نيسان وبينك عامنا * ضاع الربيع وذل ذاك المنظر
 فتى ترى ملء السماء وتوبها * الا لبود لازورد اخضر
 ومتى بقل بكلوها وربوعنا * من دمعا خربت وهذا اهدر
 ومتى ترى شمس السماء شماته * بالغم يسماها شعاع انور
 او ليس لليلك والنهار تساوبا * والشر فيك من المنايا اكثر

والفصل يؤذن بالحياة وطيبها * ما بالناس فيه ثموت ونقب
 عاما ارتك عجائباً ابامه * عين التفكر فيه ليلا يسهر
 فيه وفي الماضي كسوف سنة * كل على الانسان منه يحذر
 موت العجاة والخوانيق التي * كلاً اصابت بالمنية تنذر
 احكام كل من شهر ستة * عن قول بطليموس ذلك يؤثر
 منها ثلاث قد مضت وثلاثة * فيها لمن ينجو ويعبر معبر
 ان المنجم والطبيب تعجبا * اذ لم يكن في العرف مما يذكر
 والفيلسوف بذاك ايضاً جاهل * فهم جميعاً في المنايا حير
 ان كان ذلك في الوري في دورها * سنتين ان صدقت بما قد خبروا
 لكن اقول اذا اراد الهنا * امرا اليه بصير عبدا يؤمر
 لا تكذب فاننا بقضائه * طوع الردي حتماً ثموت ونفسر
 والفوز في الدنيا والاخرى للذي * منا على البلوى المحض اصبر

وقال ايضاً في فضل الخريف على الربيع

فضل الخريف على الربيع وحسنه * ان عم كل مدينة آثاره
 وله مناظر حسن ذاك وزادنا * طيب الفواكه كلها اثماره
 يصفو الهواء لنا ويبرد ماؤنا * ويطيب مرقدنا ويحمد ناره
 نلتذ فيه صبحنا وغبوقنا * عبق النهار ويسجج اسحاره
 وارى المخالف ذا قياس فاسد * قد ضل لما راقه انواره
 اذ قال ضاحي النور فيه دراها * ما للخريف على الرياض نثاره
 غفل الركب عن المجالس كلها * فيه اذا ما دزت اشجاره
 وتناثرت اوراقها مصفرة * كالنبر اخلص فاستنار نضاره
 والمهرجان فحصب بنعيمه * فاذا تنورز فمحل آذاره
 وتحاف وقع صواعق وبوارق * فيه وهدم رباعنا امطاره

وكذا المياه وهدها بها * مهما جرى وتدفت انهاره
 والمهرجان فورده عن ورده * مغن بفضل حسنه نظاره
 اذ كان فيه منافع ولطيبه * لم يخل منه طيبه عطاره
 والشمس في الميزان فيه يستوي * للوزن عدلا ليله ونهاره
 يسقيك من حلب الكروم جديده * سلسا بلا مزج يطير شراره
 لا غول فيه ولا اذى لخاره * لا كالعتيق مصدر مصطاره
 فاشربه مقتنا لروح زمانه * ودع الشقي موفرا اوزاره
 وارند له طيب الغناء ومزها * تشجي فؤاد متم اوتاره
 والزمز لا تفرح به اصاعده * ان الغناء يعيبه مزماره
 هذا الزمان وما سواء دونه * لفتى تساعده به اوطاره
 ان كان ينكر جاهل هذا بلا * عقل فليس يضرنا انكاره
 فاذا اتى النبروز فاقض حقوقه * ما دام يسعد ورده ازهاره
 واذا رجوا فيه القيامة فارح ان * يأتي بوشك خروجه بشاره
 وارقب طلوع النجم حتى يتقضى * نيسان تأمن ان دنا اياره

وقال الباذاني في نعت الخريف

واسعدك الله بالمهرجان * اذا ما تقضى عنك عامما بكر
 ولا زلت في عيشه كالخريف * فان الخريف جيما سحر
 ترى الماء فيه وذاك الهواء * يجلوها نسم ربح عطر
 ترى الزعفران باعطافه * يفوح التراب له المقشعر
 واترجه عاشق مدنف * اذا ما رجا طيب وصل سحر
 ولون سفرجله حائل * واحسبه من صدود حذر
 وتفاحه فوق اغصانه * خدود خجلن لوحى النظر
 وما كنت احسب ان الخدود * تكون ثمارا لتلك الشجر

❦ وقال آخر ❦

فهنالك اقبال الخريف عليك بالزهر الجنى
 تم اعتدالا في الكمال نجاء في خلق سوي
 فاق الربيع بحسنه * ونسيم رياه الذكي
 وينوب ورد الزعفران به عن النور البهي
 اهدى اليك المهرجان ميس في زى الهدى
 قد ضمخمت بالزعفران وهيئت في حسن زى
 وتحتل التفاح والاترج في نظم الحللى

❦ قال الربيع ❦

ما كنت اظن انك ترضى بحكومة الشعراء وتقعع بالاشعار الركيكة في
 هذا الباب وتكيل علينا بهذا الصاع . بل تهيل بالباع والذراع . فهناك
 منها السيل الذي يحكي سيل الربيع . فاما رسالة ابي الحسن على بن حمزة
 ابن عمارة الاصبهاني فهي مقابلة برسالة له اخرى في وصف النبروز
 كتب بها الى ابي مسلم محمد بن بجر فقال

هذا يوم عجمي مشرق الارجاه . بهي الرواء . ممتع الذكاء . منير
 السماء . صافي الهواء . اعتدل مزاجه واستوى ليله ونهاره ترتاح له
 القلوب وتهتزله النفوس وتستريح اليه الارواح يروق العيون ويؤنس
 القلوب . ويجلو الكروب . يوم مصطلح في تفضيله على الايام بهج السرور
 ويصي الكبير ويطرب الحليم ويذكر الشيب الشباب ويجمع المتفرق
 ويؤلف المتنافر ويدفي المتباعد له نسيم المسك المشوب بالعبير المداف
 يضاحك ارجوانه الفحوانه وجنانه بهاره وخيره ياسمينه وورده نرجسه فتبرج
 بعد التعنس . وتضرب بعد التيبس . وابتهج بعد التعبس توشح بالبرجد
 وتازر بالاستبرق وتحلى بالياقوت والمرجان . ونفي عن التتبان خواطر

الاحزان . فهممهم عليه موقوفه . واشغالهم اليه مصروفه . وقلوبهم
 بالملاهي فيه مشغوفه . وعيونهم اليه روان . ونفوسهم عليه حوان .
 والظبا فيه تتنازى والطيور تتبازى . وناطقها فيه يطرب فيرتجبل الاغاني
 ويقرب الاماني ويغنى الشرب فيه عن كل صوت شج مطرب اذا تحاذت
 تطارحت الالخان بفصاحة صحيان . وخالد بن صفوان . فرجحت الاغصان
 بالنبرات والنبغات فهن بمحضرة الرياض ساجمه . وعيون الحوادث عليها
 هامعه . فتمت خطرت الرواعد ولمت البوارق مرت الصبا اخلاف العهاد
 فاهتزت له الربا والرهاد . وتلغمت بورود الين وتبسمت الارض عن ثغور
 الافحوان . بكتها دموع الغيث في خير اوان . واجل زمان . وتمايلت
 البقاع بالازاهير الناضرة تمايل النشوان . يمس في لارجوان . واختالت
 القيعان والجنان . بدائع الالوان . زاهرة بانواع نوار القياض . واصناف
 اصباغ الرياض . من شقائق حمر ترف بقطرات الدموع كالمشاق .
 وفواقع صفر كالوان الشاق . وازاهير رائقه . مشفقه موقفه . مونسه هي
 الدهر ضاحكة لبكاه السماء محيطه بواد الزرزوذ وهي كالمقزم الصائل اذا
 جرجر ورسي بلعابه والضيغم المائج اذا زعجر وزأر في غيله فاذا اصطكت
 امواجه . واطبق فهباجه . وهمهم وزخر وجاءت اواذبه معجيرات بمطارف
 دكن اقبلت ضروب نباته عائمات متوشحات بتهاويل رقاها المنتم زهره
 مختلات عالقات يجانفة الامواج آمنات شبا الجوارح ففسأل الله تمام النعمة
 واليه ارغب في ان يجعلك بالنعمة تماما . وللكارم نظاما . وللدنيا قواما .

بمنه

✽ ووصف على بن عبيدة الرياحي الربيع فقال ✽

الربيع رشيق القد طلق الوجه كريم الاخلاق لين الاعطاف حلو
 الشائل . جم الفضائل . عطر الرائحة سليم الناحية فاخر البزة بهي المنظر

سرى المخبر . * ووصفه ابن ابي طاهر فقال * الربيع نسام الجمال .
حسن الدلال . عظيم الخطر . لطيف النظر جميل الذكر . ذكى العطر
لذيذ النسيم . طيب الشميم . غزير النعيم . قليل الهموم . ظليل الغموم
واما النظم فالقصيدة الاولى الالفية مقابلة بمثلها من قول بعض الشعراء

طلع الربيع بفره زهراء * تجلي العيون بها من الاقضاء
وبدت وجوه الارض بعد قطوبها * مفترة بدائع الآلاء
فالارض في حل وحلى مونتق * في ما حبت به يد الانواء
والروض بضحك عن بكى وبسمة * بتلاؤ من صنعة الانداء
وترى الرياض كانهن عرائس * يرفلن من صفراء في حمراء
او ماراً بت الارض غرباء الرنى * حتى اغتدت في برودة خضراء
ان الربيع لهجة الارض التي * منها تكون جواهر الاشياء
وله هواء كالموى من رقة * دقت عن الاوهام والاهواء
واذا تنفس بالنسيم نسيه * كتنفس الصبوات في الاحشاء
زمن جديد للسرور تجدد * فيه استجلت حرمة الصهباء

واما القصيدة الدالية فهي مقابلة بما قال الحمدوى

حى الربيع فقد اتاك حميدا . بدلت من خلق الزمان جديدا
خلع السحاب على الثرى وشياترى . منه الثرى ذا ثروة محسودا
روض افادته السحاب صنائعا . اضحى بها كل البلاد سعيدا
نشأت سحابه عليه فانشأت . نورا تراه ناشئا ووليدا
فكانها عدن لدى اكفافه . قد نشرت فيه التجار برودا
عن الحوان ضاحك متبسم . يفتر عن برد يخال عقودا
فتهوره من لؤلؤه ولثاته . ذهب بريق سحابه قد جيذا
ومعصرات من شقائق البست . مقلاترى فيها بحاجر سودا

فانهض بطرفك حيث شئت تجده له • من عطفه ورداً يخال خدودا
 تحكي لك الوجنات قد اشعرتها • خجلا فشرب لونها توريدا
 قد وشحت اكافه يبنسج • خث بنازل غايات غيدا
 وترى المذارى من بهار باهر • للشمس تحسب نظمن فريدا
 زهر يظل الطرف في اكافه • حسرا لرونقه النضير بليدا
 فاذا الريح مشين فيه ظلان من • كسل النعيم رواكها وسجودا
 يصدن صد متم متهم • انجى له عداله تفنيدا

واما القصيدة الرائية الاولى فمقابلة بما قال ابو تمام وبينهما بون بعيد

رقت حواشي الدهر وهي تمرمر • وغدا الثرى في حليه يتكسر
 نزلت مقدمة المصيف حميدة • ويد الشتاء جديدة لا تكفر
 مطر يروق الصحو منه وبعده • صحو يكاد من الغضارة يطر
 غيثان فالانواء غيث ظاهر • لك وجهه والعصو غيث مضم
 يا صاحبي نقصبا نظري كما • تريا وجوه الارض كيف تصور
 تريا نهارا مبصرا قد شابه • زهر الربى فكأنما هو مقمر
 دنيا معاش للورى حني اذا • جاء الربيع كأنما هي منظر
 اضحت تصوغ بطونها لظهورها • نورا تكاد له القلوب تنور
 من كل زاهرة ترفرف بالندى • فكأنها عين اليه تحدر
 حمرة مصفرة فكأنها • عصب تين في الوغى وتقمصر
 من فاقع غض النبات كانه • در يشقى قبل ثم يزعفر
 او ساطع في حمرة فكأنما • يدنو اليه من الهواء معصر
 صبح الذي لولا بدائع لطفه • ما عاد اصفر بعد اذ هو اخضر

والقصيدة الثانية الرائية مقابلة بما قال الجعري

ألم تر تغليس الربيع المبكر • وما حاك من وشي الرياض المنشر

مررتا على بطياس وهي كأنها . سياب عصب او زراي عبقر
 كأن سقوط القطر فيها اذا انثى . اليها سقوط اللؤلؤه المتحدر
 وفي ارجواني من النور احمر . يشاب بافرند من الروض اخضر
 اذا ما الندى وافاه صبحاً تمايلت . اعاليه من در نثير وجوهر
 اذا قابلته الشمس قلت الثفافة . لعلوة في جادها المتعصر

والقصيدة الثالثة مقابلة بما قال ابن المعتز

اما ترى بهجات الروض في السحر . فوق الندى واتساق الورد في الشجر
 اذا السحاب سقاها في الدجى خلعت . بعد السحاب عليها الشمس في البكر
 والروض من زاهر زاه بنظرته . وكامن منه في الاغصان منتظر
 حسي من الورد توريد الحدود كما . حسي مسرة محسود من البشر

والقصيدة الرابعة الرائية مقابلة بما قال ابن الرومي

اصبحت الدنيا تروق من نظر . بمنظر فيه جلاء للبصر
 وهالها مصطنعا لقد شكر . اثنت على الله بآلاء المطر
 والارض في روض كافواف الخبر . تبرجت بعد حياء وخفر

تبرج الانثى تصدت للذكر

هذا ما قيل من الاشعار . ولو استقصيت ما قيل في فضل الربيع
 لادى ذلك الى الاكثار . وبكفيك من فضائله انه ما ينبغ شاعر الا
 وله شعر في الربيع واما الآثار . التي جاءت بها الاخبار . فكثيرة ايضاً
 والنوروز الذي هو عنوان الربيع تعظمه الفرس على سائر الايام وتقول
 انه يوم فيروزي روحاني فيه تحركت الافلاك السبعة بعد ان كانت
 ساكنة وفيه دارت الكواكب السبعة في افلاكها بعد ان كانت واقفة وفي
 ساعة منه يزخر فلك فيروز بمعاني الارواح لانشاء الخلق وفيه خلق جرم
 الشمس ولذلك يقال اسعد ساعات النوروز ساعة الشمس * وقال الحسن

ابن سهل سأل المأمون علي بن موسى الرضا عن النيروز فقال يوم عظمته
 الملائكة والانبياء والملوك فالملائكة عظمته لانهم فيه خلقوا والانبياء
 عظمته لانه اول يوم طلعت فيه الشمس والملوك عظمته لانه اول يوم من
 الزمان * وعن عبد الصمد بن علي بن عبد الله رفعه الى جده عبد الله
 ابن عباس قال اهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم في يوم نيروز جام
 فضة عليه حلاوة فقال ما هذا فقالوا يوم النيروز فقال وما النيروز فقالوا
 عيد الفرس فقال نعم اليوم الذي احيا الله فيه المسكرة قالوا وما المسكرة
 قال القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف فاحياهم الله في هذا اليوم
 ورد عليهم ارواحهم وامر السماء فامطرتهم مطراً كالشنف فلذلك اتخذ
 الناس صب الماء في النيروز سنة فاكل الحلاوة وقسمها بين اصحابه وقال
 نيزروا لنا كل يوم * ويقال ان في النيروز اظهر جرم الملك مقادير الاشياء
 وتنبه الفرس صبيحته قبل الكلام بان تلتق ثلاث لعقات من عسل
 وتنجف بثلاث قطع من شمع وتزعم انه شفاء من الف داء زعم بعضهم ان
 من ذاق السكر صبيحته قبل الكلام وادهن بالزيت دفع عنه في عامه
 انواع البلايا

✽ قال الخريف ✽

رويت لنا يا بني اشعاراً في صفة الربيع وفضائله . وما تعرضت
 لنقص الخريف ورزائله . وعلى المناظر ان يقوى حجه ودلائله ويوهن
 براهين خصمه وشواهدة لبتضع الحق ويفتضح الباطل كما فعلنا ذلك وان
 لم نستوفه واتينا على جمل من ذلك ولم نستقصه * واما ما ذكرت من
 فضيلة النيروز فللمهرجان ايضاً فضائل لا تحصى ومناقب لا تستقصى تزعم
 الفرس وغيرهم من الامم انه يوم خلق الله فيه الاجساد قراراً للارواح

وفيه دحا الارض دحوا ونشر الخلائق وهو يوم افريفون وعربا، افريدوني
وفي ساعة منه بتنفس فلك افريفون لتربية الاجساد وفيه خلق الله القمر
يوم خلقه كره سوداء فاذا كان يوم من المهرجان جلاها بضوئه ويقال ان
القمر في المهرجان يوفي على الشمس واسعد ساعاته ساعة القمر ويقال ان
قلة جبل شاهين ترى طوال ايام الصيف سوداء حتى صبيحة المهرجان
ترى بيضاء كأن الثلج عليها وزعم المؤيد المتوكلي ان يوم المهرجان يطلع
الشمس بمهامير الواسط بين النور والظلمة وتحرك الارواح في الاجساد
ولذلك سمته الفرس ميركان وتبين الفرس صبيحة المهرجان باكل الرمان
وشم ماء الورد وهو يوم افريدوني مر افريدون في طلب بيور اسف فظفر
به يوم المهرجان الأكبر

فهذا ما حضر من فضائل الخريف واولاها واولاها بان يذكر ان
الخريف في هذا الوقت الذي نحن فيه حاضر لخدمة قوام الملك ونظام
الدين اطال الله بقاءه . وادام في درج المعالي ارتقاءه . والربيع غائب
عن حضرته . انسها الله بدوام نعمته . مشتاق اليها والحاضر خير من
الغائب والموجود خير من المعدوم

فهذا آخر ما جرى بين الشيخ والفتى وافتراقا بعد ذلك والسلام والحمد لله
اولاً وآخراً . وباطناً وظاهراً . والصلاة على النبي محمد وآله
اجمعين وكتب يوم الخميس في ثاني عشر ربيع الآخر
سنة احدى واربعين واربع مائة
(كذا باصله)

